القسم الثاني

إسلامية التحليل

إسلامية التحليل

المدرسة الإسلامية للتحليل :-

عندما أنزل الله الدين على آدم بعد النزول إلى الأرض كان هذا الدين موافقاً لطبيعة الإنسان، لكن نزول الدين الموافق للطبيعة الإنسانية فجعل الدين بالنسبة للإنسان لحمه ودمه : " دينك عرضك لحمك ودمك "[1].

فالدين هو الهدى الذي جاء في قوله سبحانه : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَأما يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:38).

والهدى هو القرآن ...

والقرآن بالنسبة للإنسان ربيع القلب ونور البصر وجلاء الهم والغم.[2]
فالقلب هو الحياة، والقرآن ربيع هذه الحياة ...
والبصر هو النور، والقرآن نور البصر ...
والدين هو العبادة، وتمام العبادة هو الخشوع..

---

[1] [ضعيف مرفوع ، صحيح عن الحسن] أخرجه ابن الجوزي في (العلل المتناهية / 1 / 130) ، والخطيب البغدادي في (الكفاية في علم الرواية / 1 / 121) عن ابن عمر .
قال ابن الجوزي : فيه عطاف بن خالد ، مجروح ، وقال ابن حبان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديثهم فلا يحتج به .اهـ ، وضعفه الشيخ الألباني في (الضعيفة / ج 3 / ص 257 / ح 1126) .
ولكنه صحيح عن الحسن رحمه الله ،فأخرجه عنه الفريابي في (صفة المنافق / 1 / 61 / ح 51) ، وابن أبي عاصم في (الزهد / 1 / ص 282) ، والأصبهاني في (حلية الأولياء / 2 / ص 143) ، والمزي في (تهذيب الكمال / 6 / 116) .
ورواه أيضا الرامهرمزي في (المحدث الفاصل / 1 / 416) عن الإمام مالك بن أنس .
والله تعالى أعلم .

[2] [صحيح] أخرجه أحمد في (المسنده / 1 / 391) من حديث عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا . قَالَ : فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ : بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا] ، وصححه الشيخ الألباني في (السلسلة الصحيحة / 1 / 383 / ح 199) .

والخشوع بكل كيان الإنسان، [كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ وَإِذَا رَكَعَ قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي وَإِذَا رَفَعَ قَالَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ وَإِذَا سَجَدَ قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ] [1].

ولما كان الدين هو العبادة؛ أحب الله الإنسان بمقدار عبوديته، وإذا أحب الله عبداً جعله يسمع بالله ويبصر بالله؛ كما قال رسول الله ﷺ [إِنَّ اللَّهَ : قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (صلاة المسافرين وقصرها / بـ الدعاء في صلاة الليل وقيامه / ح 771) من حديث علي بن أبي طالب .

أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ][2].

ولذلك كان الخروج من الدين انسلاخ، كما قال سبحانه : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (الأعراف:175).
فالسلخ هنا معناه أن الآيات كانت بالنسبة له جلده الملاصق لجسده ولحمه وعظمه بصورة كاملة.

وهكذا يكون الدين للإنسان كيانه كله وجوارحه كلها وسلوكه كله، وبتلك القاعدة نطرح نظرية التحليل الإنساني من خلال مصطلحات هذا الدين.

ولذلك سنبدأ الدراسة التحليلية للنفس من خلال هذه المصطلحات بحيث تتوافق في ترتيبها مع البناء المنهجى للتحليل.

وفى القسم الاول تبين لنا كيف نفهم الإنسان من خلال المصطلحات اللغوية

و فى القسم الثانى نبدأ تحليل السلوك من خلال المصطلحات الشرعية وهي :
1- الإيمـــــان .
2- الإســـــلام.
3- الشـــــريعة.
4- الديـــــن.
5- العبـــــادة.

(2) [صحيح] أخرجه البخاري في (الرقائق / بـ التواضع / ح 6502) من حديث أبي هريرة .

1- الإيمان

الإيمان.. تفسير نفسي :

و بداية التفسير النفسي للإيمان هى التعريف المباشر له، وهو : " الاطمئنان ". وليس أبلغ من هذا التعريف في محاولة التفسير، وذلك أن الاطمئنان هو استقرار الحقيقة في القلب: (الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل). ولكن عمليه الإيمان من الناحية التحليلية والنفسية لا تنتهى عند حد التعريف لأن عملية الاطمئنان ذاتها تحتاج إلى قدر من التفصيل وهو العلاقة بين الفكرة الخارجية حتى مرحلة الاطمئنان بالقلب. وأول حقائق هذا التفصيل هى الامر الذى يقرب الفكرة من العقل لتعرض عليه فإن قبلها العقل نحلت فيه ثم مررها إلى الصدر، فتحدث الفكرة في الصدر انشراحاً واتساعاً لتصل إلى القلب، فينفتح لها القلب ليستوعبها وتستقر فيه، ويكون الإيمان والاطمئنان. وإذا لم يقبلها العقل فإنها ترتد خارجه عن إطار التفكير. أما الحالة الثالثة وهي التأرجح بين الإيمان بالفكرة أو رفضها فإنه يحدث في العقل نوع من الارتياب. فإذا تجاوزت الفكرة مرحله العقل دون أن يذهب هذا الارتياب فإنها تصل إلى الصدر بنوع من الضيق والحرج الصدرى فلا يقبلها القلب، لأن القلب لا يقبل إلا الحقائق التي يطمئن إليها وتطمئن فيه.

و لذلك كان الحق هو النور الذي ينشرح له الصدر، وهو تفسير قول الله عزوجل :(أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ

لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (الزمر 22) .

ولكن تصديق العقل و انشراح الصدر و دخول الحق الى القلب يكون بالحب المحقق للاطمئنان

ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ، كما نلاحظ أن الأمر لم يتوقف عند حد إنشاء مادة الحب ذاتها بل يمتد ليكون الفعل الإلهي هو تزيين الإيمان، لأن الحب قد يتحقق في القلب من حيث الواجب الشرعي أما التزيين فهو تحقق الحب في القلب من حيث الرغبة الذاتية. أو "الهوى ". ومن هنا كان الإيمان هو أن يكون هوى العبد تبعاً للشرع كما قال " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يكونَ هواهُ تبعاً لما جئتُ بِهِ "[1].

ومن هنا كان المنهج القرآني في تحقيق الإيمان قائم علي ثلاث مرتكزات نفسية :

الحب في الإنسان

و المنفعة و الجمال في الكون .

وأما دليل الحب فهو قول إبراهيم في تفسير الإيمان (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ 75 فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ) (سورة الآنعام : آيه 76) .

وقد جمعت آيات القرآن بين المنفعة في الكون و الحب في الإنسان ففي سورة البقرة (إِنَّ فِي خَلْقِ

---

(1) [ضعيف] أخرجه الخطيب في تاريخه " (4 / 369) ، والبغوي في " شرح السنة " (1 / 213) من حديث عمرو بن العاص ، وقال النووي : حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسنادٍ صحيح .
وقال الشيخ الألباني في " المشكاة " (167) تعقيباً على كلام النووي :
وهذا وهم فالسند ضعيف فيه نُعيم بن حماد وهو ضعيف ، وأعله الحافظ ابن رجب بغير هذه العلة مُتعقباً على النووي تصحيحه إياه ... اهـ .

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (سورة البقرة :164).

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)(سورة البقرة :165).

كما جمعت آيات القرآن بين المنفعة و الجمال في سورة النحل

(وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ 5 وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)(سورة النحل :(6،5).

وباعتبار أن طبيعة الحقيقة هي نور الله، فإن ما يخالف هذه الحقيقة لاينفسح له الصدر فيدخل إلى الصدر بالاحتكاك الذي قال فيه النبي [وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ][1]
وبمقدار قوة الإيمان يكون النور حتى يملأ القلب ثم يفيضه على الوجه حتى يحقق الوضاءة في الوجه.
ومن أهم الحقائق النفسية في تفسير الايمان هو أن الايمان بالله هو الذي يفتح القلب لقضايا الايمان التي تليه ، مثل الايمان باليوم الأخر أو مثل الايمان بالوحي ، وأن الايمان بالوحي المنزل من السماء يفتح القلب لما يليه من حقائق ، وكانت هذه الحقيقة هي أساس تسليم أبي بكر الصديق

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (البر والصلة والآداب / بـ تفسير البر والإثم / ح 2553) من حديث النواس بن سمعان .

بحادثة الاسراء كما وردثم مضي فأصبح فأخبر عما كان فلما سمع المشركون له أتوا أبا بكر فقالوا يا أبا بكر هل لك في صاحبك ؟ يخبر أنه أتي في ليله هذه مسيره شهر ورجع في ليلته فقال أبو بكر رضي الله عنه ان كان قاله فقد صدق وانا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا لنصدقه علي خبر السماء .[2]

وقد اتفقنا أن الإيمان يبدأ بمرحلة ما قبل الإيمان، وقبل الإيمان يكون مرحلة تقريب القضية التي هي موضوع الإيمان من الإنسان لينتبه إليها، وفي هذه المرحلة يكون
" تأليف القلوب " وهي عوامل تقرب القضية من الإنسان حتى يصير محبباً إليه التفكير العقلي فيها.

ولذلك يقول ابن تيمية في تفسير قول الله عز وجل : (فلله الحجة البالغة) : وهي التي بلغت إلي صميم القلب وخالطت العقل، فلا يمكن للعقل دفعها ولا جحودها

وعوامل تأليف القلوب ترجع في طبيعتها إلى طبيعة الإنسان الذي نريد دعوته إلى الإيمان.
وغالباً ما يكون المال هو المادة الأساسية لتأليف القلوب.. ولذلك قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال:63). ولذلك خص الله سبحانه المؤلفة قلوبهم في مصارف الزكاة : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:60).

---

(2) [صحيح] أخرجه الحاكم في (المستدرك / 3 / 62 – 63) وصححه ، ووافقه الذهبي .

وباعتبار أثر القلب على الجوارح فإن عمل الجوارح يصبح الدليل الأول على الإيمان، فهو ما وقر في القلب وصدقه العمل. وكما كان الإيمان ناشئاً عن القلب بصورة مباشرة فإن العمل ينشأ بصورة تابعة فيحدث العمل تصديقاً لما في القلب، ولذلك يقول ابن تيميه : لو أنك قلت لرجل أن البيت الذي أنت فيه يحترق فصدقك دون أن يفر هارباً فهو كاذب إذ لو كان صادقاً لفر هارباً قبل أن تتم قولك خوفاً على نفسه بعد تصديقه لك .

وباعتبار أن العمل تصديق لما في القلب كانت العلاقة بين القلب والعمل بصورة تبادلية فنجد الإيمان يزيد بالعمل. والعمل يزيد بالإيمان.

ومن أهم حقائق الإيمان وعلاقته بالتكوين الشخصي أن طبيعة التلقى لحقائق الإيمان هي التي تدل علي التكوين الشخصي للإنسان المؤمن وهذه البداية هي التي تعيش مع صاحبها حتى النهاية، ومن هنا كان التوجية القرآني إلى بداية التلقى والإيمان بأخذ هذا الدين بقوة .

ونواصل الدراسه النفسيه للايمان من خلال نموذجاً إيماناً بصورة تحليلية وهو عمر بن الخطاب .

عمر بن الخطاب : نموذجا ايمانيا

لعلنا نذكر دائماً.. دعاء رسول الله [اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ

بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ] [1].. ونتسائل لماذا أحد العمرين ؟ لماذا لم يكن بالعمرين ؟

إن الدعاء يجمع بهذه الصيغة المشيئة والاختيار..وهاتان الحقيقتان القدريتان لا تجتمعان إلا للأقدار الكبيرة التي يترتب عليها أقدار كثيرة.. ونعلم كيف إن الإنسان في بداية خلقه في بطن أمه اختيار كان ربانيا من بين ملايين الحيوانات المنوية. ومن الملايين يتم اختيار واحد ليكون أمام إحدى البويضتين ليتم اختيار الواحدة التي ستكون إنساناً.. ولذلك كان قدر الاختيار من أعظم الأقدار.. فثبت في إسلام عمر حقيقة المشيئة والاختيار، لأن إسلام عمر كان قدراً عظيماً.. ولكن.. من منا ينسى سبب إسلامه وظروف هدايته.. لا أحد، وكذلك عمر..لقد كانت هناك سورتان في حياة عمر الإيمانية أولهما الحاقة ، و ثانيتهما طه ، أما دليل سورة الحاقة فهو الحديث الذي رواه أحمد حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح ابن عبيده قال:

- قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : [خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَقُمْتُ خَلْفَهُ فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ قَالَ فَقُلْتُ هَذَا وَاللَّهِ شَاعِرٌ كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ قَالَ فَقَرَأَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ قَالَ قُلْتُ كَاهِنٌ

---

(1) [صحيح] أخرجه الترمذي في (المناقب / بـ في مناقب عمر رضي الله عنه / ح 3681) من حديث ابن عمر ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح الترمذي / 3 / 204 / ح 2907) ، وأخرجه ابن ماجة في (المقدمة / بـ فضل عمر رضي الله عنه / ح 93) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ [اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً] ، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح ابن ماجة / 1 / 24 / ح 85) دون قوله: [خاصة] .

قَالَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ قَالَ فَوَقَعَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي كُلَّ مَوْقِعٍ][1]

لقد أحدثت هذه السورة توافقاً بين عمر و الطبيعة القرآنية فإن السورة لها طبيعة القوة و الحسم و قد وضح ذلك من خلال كلمات السورة :الحاقة ،القارعة ،الطاغية ،العاتية الرابية ،فكان هذا التوافق مدخلاً قرآنياً إلى قلب عمر من خلال طبيعته و شخصيته

أما سورة طه..فقد كانت الصبغة النى اصطبغت شخصيته بكل حقائقها و قضاياها فكان لابد أن يكون بين عمر والسورة مودة خاصة وتعامل نفسى خاص..

ولكن هل سيتحرك عمر بتلك الدروس المستفادة بصورة نفسية بحتة أم لابد من سند شرعي يتميز به عمر عن بقية الأمة ليمارس دوره المستفاد من سورة طه ؟..
وكان قول رسول الله ﷺ[إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ][2].

وقد استقر السند الشرعي في نفس عمر حتى قال : [وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ][3]. ومن منطلق

---

(1) [منقطع] أخرجه أحمد في (المسنده / 108) قال : حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ حَدَّثَنَا **شُرَيْحُ بْنُ عُبَيْدٍ** قَالَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .... فذكره .
قال الهيثمي في (المجمع / 9 / 62) : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر .اهـ

(2) [صحيح] أخرجه أبو داود في(الخراج والإمارة والفيء / بـ في تدوين العطاء / ح 2962) ، والترمذي في (المناقب / بـ في مناقب عمر رضي الله عنه / ح 3682) من حديث ابن عمر .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب اهـ ، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح ابن ماجة / 1 / 24 / ح 88) .

استقرار هذا السند الشرعي كانت مواقف عمر الملازمة في مضمونها للسورة التي هداه الله بها .

عمر وسورة طه :

﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ (طـه:2).

فهذه الايه جعلت عمر يضع سعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاتقه

حتى أنه كان لا يطيق غضب رسول الله [illegible] .[1]

---

(3) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الصلاة / بـ ما جاء في القبلة ومن لم ير الإعادة على .. / ح 402) ، ومسلم في (فضائل الصحابة / بـ من فضائل عمر رضي الله عنه / ح 2399) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : [وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَآيَةُ الْحِجَابِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ] .

(1) [متفق عليه بغير هذا اللفظ] أخرجه البخاري في (العلم / 93) ، ومسلم في (الفضائل / بـ تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ .../ 2359) واللفظ لمسلم.
عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ حِينَ زَاغَتْ الشَّمْسُ فَصَلَّى لَهُمْ صَلَاةَ الظُّهْرِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ وَذَكَرَ أَنَّ قَبْلَهَا أُمُورًا عِظَامًا ثُمَّ قَالَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ سَلُونِي فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ فَقَالَ مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَبُوكَ حُذَافَةُ فَلَمَّا أَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنْ يَقُولَ سَلُونِي **بَرَكَ عُمَرُ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا** قَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَى وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ قَالَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ مَا سَمِعْتُ بِابْنٍ قَطُّ أَعَقَّ مِنْكَ أَآمِنْتَ أَنْ تَكُونَ أُمُّكَ قَدْ قَارَفَتْ بَعْضَ مَا تُقَارِفُ نِسَاءُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فَتَفْضَحَهَا عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ وَاللَّهِ لَوْ أَلْحَقَنِي بِعَبْدٍ أَسْوَدَ لَلَحِقْتُهُ] .

كما أوجدت عند عمر شفقة شديدة لرسول الله

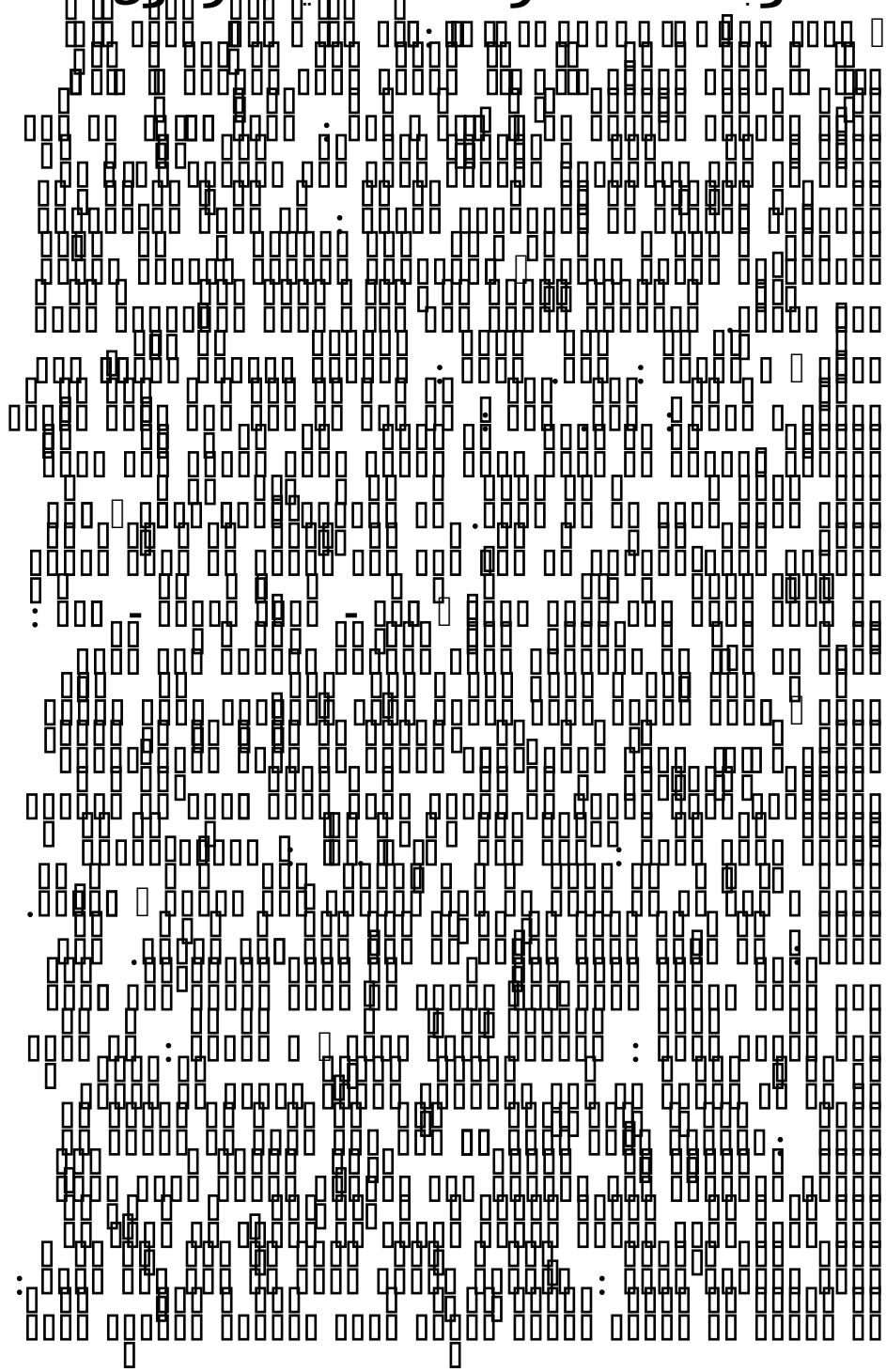

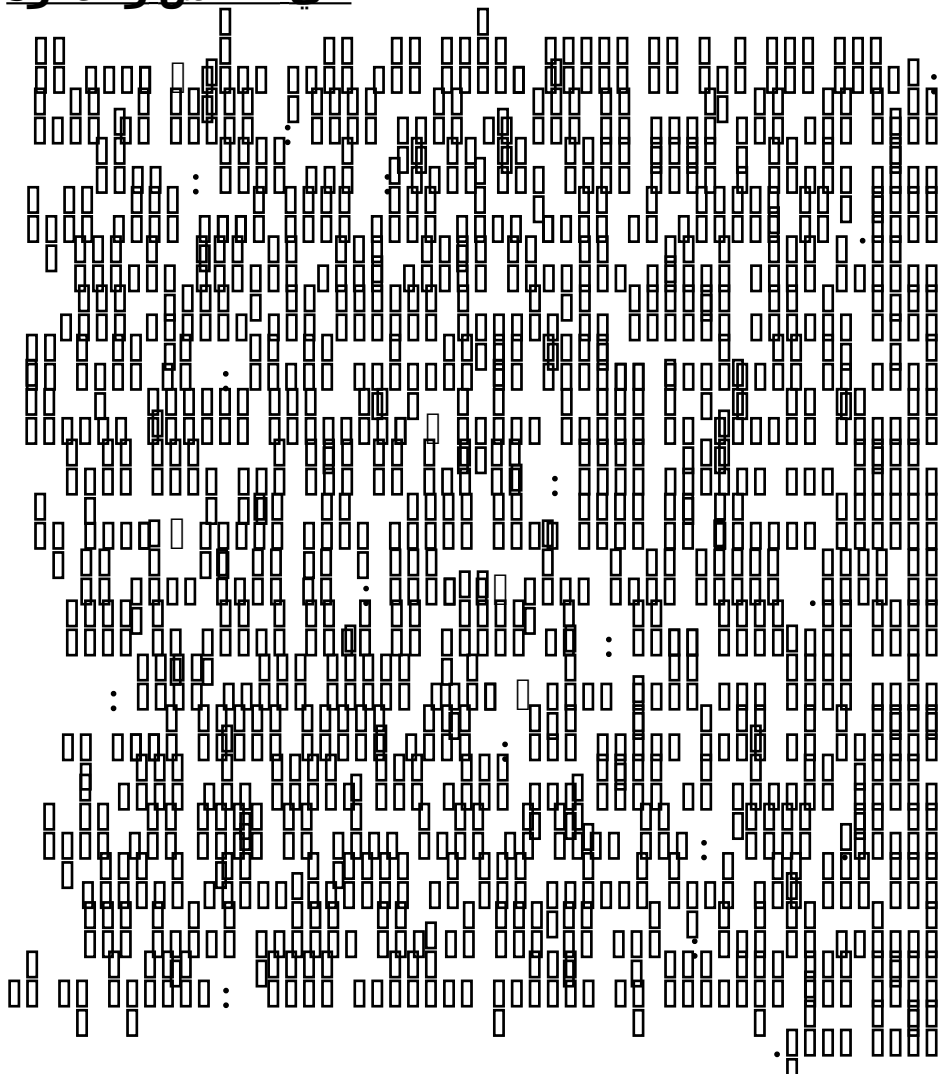

واستمراراً في تصحيح مفهوم سعادة رسول الله عند عمر كان حديث نزول قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ (الفتح:1).

عمر وموضوع السورة :-

وأما موضوع السورة بعد مقدمتها فهو صراع الإسلام – المتمثل في دعوة موسى عليه السلام - مع الفرعونية الخبيثة، فكان أبغض شيء إلى قلب

عمر هو الفراعنة،حتى بلغت حد كراهية اسم الوليد .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :[وُلِدَ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامٌ فَسَمَّوْهُ الْوَلِيدَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّيْتُمُوهُ بِأَسْمَاءِ فَرَاعِنَتِكُمْ لَيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ لَهُوَ شَرٌّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ][11].

والوليد اسم فرعون موسى لأن فرعون موسى اسمه : " رع مسيس " معناها : ابن الإله رع. لأن سيس في الهيروغليفية تعني الصغير أو الوليد مثلما نقول الآن للفرس الصغير " سيسى "

* * *

---

[1]1) **[حسن]** أخرجه أحمد في (المسند / 110) قال :
حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا ابْنُ عَيَّاشٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَوْزَاعِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : [وُلِدَ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامٌ فَسَمَّوْهُ الْوَلِيدَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّيْتُمُوهُ بِأَسْمَاءِ فَرَاعِنَتِكُمْ لَيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ لَهُوَ شَرٌّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ] .
قال الهيثمي في (المجمع / 5/ 240) : إسناده حسن .اهـ
ولكن حكم بوضعه ابن حبان ، وتبعه ابن الجوزي في الموضوعات ، وردَّ هذه الدعوى ابن حجر كما في (القول المسدد / 1 / 41) ، و(الفتح / 10 / 580) ، وأنقل كلامه في الفتح باختصار لأهميته :
أَخْرَجَهُ أَحْمَد عَنْ أَبِي الْمُغِيرَة عَنْ إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش فَزَادَ فِيهِ " قَالَ حَدَّثَنِي الْأَوْزَاعِيُّ وَغَيْرُه عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ سَعِيد بْن الْمُسَيَّب عَنْ عُمَر بِهِ " فَزَادَ فِيهِ عُمَر , **فَادَّعَى اِبْن حِبَّان أَنَّهُ لَا أَصْل لَهُ** , فَقَالَ فِي كِتَاب " الضُّعَفَاء " فِي تَرْجَمَة إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش : هَذَا خَبَر بَاطِل , مَا قَالَهُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا رَوَاهُ عُمَر , وَلَا حَدَّثَ بِهِ سَعِيد وَلَا الزُّهْرِيّ وَلَا هُوَ مِنْ حَدِيث الْأَوْزَاعِيّ . ثُمَّ أَعَلَّهُ بِإِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش .
وَاعْتَمَدَ اِبْن الْجَوْزِيّ عَلَى كَلَام اِبْن حِبَّان فَأَوْرَدَ الْحَدِيث فِي " الْمَوْضُوعَات " فَلَمْ يُصِبْ ؛ فَإِنَّ إِسْمَاعِيل لَمْ يَنْفَرِد بِهِ , وَعَلَى تَقْدِير اِنْفِرَاده فَإِنَّمَا اِنْفَرَدَ بِزِيَادَةِ عُمَر فِي الْإِسْنَاد , وَإِلَّا فَأَصْله كَمَا ذَكَرْت عِنْدَ الْوَلِيد وَغَيْره مِنْ أَصْحَاب الْأَوْزَاعِيِّ عَنْهُ , وَعِنْدَ مَعْمَر وَغَيْره مِنْ أَصْحَاب الزُّهْرِيّ , فَإِنْ كَانَ سَعِيد بْن الْمُسَيَّب تَلَقَّاهُ عَنْ أُمّ سَلَمَة فَهُوَ عَلَى شَرْط الصَّحِيح وَيُؤَيِّد ذَلِكَ أَنَّ لَهُ شَاهِدًا عَنْ أُمّ سَلَمَة أَخْرَجَهُ إِبْرَاهِيم الْحَرْبِيّ فِي " غَرِيب الْحَدِيث " مِنْ رِوَايَة مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ مُحَمَّد بْن عَمْرو عَنْ عَطَاء عَنْ زَيْنَب بِنْت أُمّ سَلَمَة عَنْ أُمّهَا قَالَتْ " دَخَلَ عَلَيّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي غُلَام مِنْ آل الْمُغِيرَة اِسْمه الْوَلِيد , فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْت : الْوَلِيد . قَالَ : قَدْ اِتَّخَذْتُمْ الْوَلِيد حَنَّانًا , غَيِّرُوا اِسْمه فَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّة فِرْعَوْن يُقَال لَهُ الْوَلِيد " .اهـ

ثم يعيش عمر تجربة موسى مع اليهود ويرى التفافهم حول أمر الله واحتيالهم فيه من خلال الأحاديث المتعلقة بأحوالهم فيروى عمر حديث النبي [لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ الشُّحُومُ فَجَمَّلُوهَا فَبَاعُوهَا][1]

غير أن المعنى الأساسي الذي عاشه عمر هو ما كان من بنى اسرائيل مع موسى ولذلك كان عمر دائما بجانب النبي يدفع عنه تجاوزات الأمة.
وكانت هذه المعاني أهم معطيات تجربة موسى مع بني إسرائيل..

ثم نأتى لتجربه السامرى التى يعيشها عمر من خلال ثلاثة عناصر :

1- منها : السامري كمنافق يخفى على موسى أمره حتى بلغ أثره أن يجعل بني إسرائيل يعبدون العجل وينقسمون عنده بعد اختلافهم فيه فكانت كراهية عمر المتميزة للنفاق .
عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله [إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ][2].
حتى أصبح عمر معروفا بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعنى أقطع عنق هذا

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء / بـ ما ذكر عن بني إسرائيل / ح 3460) ، ومسلم في (المساقاة / بـ تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام / ح 1582) من حديث عمر بن الخطاب .
(2) [حسن] أخرجه أحمد في " مسنده " (1/22) ، والبزار (305) ، والبيهقى في " شعب الإيمان" (1777) جميعهم عن عمر
قلت : وف الباب عن عمران بن حصين ، كما في (المجمع / 1 / 187) .
وصححه الشيخ الألباني في (الصحيحة / ج 3 / ص 11 / ح 1013)

المنافق عندما يرى أى أمر يمس النبى صلى الله عليه وسلم[1]
ومن هنا كان عمر يتعامل مع المنافقين بأسلوب خاص، ودليل ذلك موقفه فى صلاة رسول الله على عبد الله بن أبى بن سلول..[1] وسؤاله لحذيفة عن أسماء المنافقين، وذلك لأن السامري يمكن أن نعتبره رأس النفاق في بني إسرائيل..

2 - السامري الذي استطاع أن يلفت النظر إليه، وأن يجعل بني إسرائيل تلتف حوله.
وقد تمثل في كراهية عمر بن الخطاب الشديدة في أن يكون من الأمة من يلتف الناس من حوله فيتعاظم في نفسه مثلما تعاظم السامري، قال عمر : " أخشى عليك أن تَقُص فترتفع عليهم في نفسك، ثم تقص فترتفع حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك "[2].

3- وأما بالنسبة للعنصر الثالث فهو تلك التجربة التي لم يكن يتخيلها بشر، وهي أن يطلب بنو إسرائيل من موسى أن يجعل لهم صنماً يعبدونه من دون الله بعد أن نجاهم الله من فرعون تواً،

---

(1) لم أقف على لفظة (أقطع) ، إنما الصحيح هي (اضرب عنق ...) كما في قصة حاطب – رضي الله عنه عند (البخاري / 3007) ، و (مسلم 2494) ، وكما في قصة ابن أبي ، عن (البخاري / 3518) ، و(مسلم / 2584) .

(18)[1] [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الجنائز / بـ الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف / 1269) ، ومسلم في (فضائل الصحابة / بـ من فضائل عمر / 2400) واللفظ له :
عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : [لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يُكَفِّنَ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَسَأَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ قَالَ إِنَّهُ مُنَافِقٌ فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ] .

(2) [حسن] أخرجه أحمد في (المسند /ح 112) ، وقال الشيخ شغيب في تعليقة على المسند إسناده حسن .اهـ

مما جعل عمر يتصور الشرك أمراً محتملاً أن يحدث في أمة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانت عنده حساسية شديدة، فيروى حديث النهي عن الحلف بالآباء[3] باعتبار أن ذلك الفعل من الشرك كما قال الرسول .

وكذلك نرى عمر هو الذي يقتلع شجرة الرضوان عندما يرى بعض المسلمين يجتمعون حولها ليتذكروا أيامها[1].. حتى إنه يقول وهو يقبل الحجر الأسود : أعلم أنك لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك "[2]

وقد كان عمر يعلم أن السامري قد صنع العجل بالسحر فأوجد ذلك عند عمر حاسة العداء للسحرة والشياطين والتي لم تكن عند أحد مثله فهو القائل :

"اقتلوا كل ساحر وساحرة "[3].

وبعد وفاة النبي يشعر عمر بالخطر الشديد الناشيء عن غياب رسول الله أكثر من غيره حتى إنه يغيب ذهنياً عن حقيقة الموت ولا يجد إلا تجربة موسى في ذهابه ليلقى ربه ثم يعود فيردد عمر العبارة فيقول : [إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

---

(3) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الأيمان والنذور / بـ لا تحلفوا بآبائكم / ح 6648) ، ومسلم في (الأيمان / بـ النهي عن الحلف بغير الله تعالى / ح 1646) من حديث عمر بن الخطاب .

(1) أخرجه ابن سعد في (الطبقات / 2 / 100)

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الحج / بـ ماذكر في الحجر الأسود / ح 1597) ، ومسلم في (الحج / بـ استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف / ح 1270) من حديث عمر بن الخطاب .

(3) [صحيح] أخرجه الشافعى في "بدائع المنن " (1532) ، وعبد الرزاق في " مصنفه " (10/179 ، 180)،وأحمد في "المسند " (1/190،191) ، وأبوداود في (الخراج / بـ أخذ الجزية من المجوس / ح 471) ، والبيهقى (836) وابن حزم (11/397) وصححه .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّ رَبَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ كَمَا أَرْسَلَ إِلَى مُوسَى][4].

ويتولى أبو بكر الخلافة وتمتنع طوائف من المسلمين عن الزكاة، فيركن عمر إلى موقف هارون الذي استعظم أن تقاتل الأمة بعضها بعضاً، فقال لأبى بكر : أتقتل قوماً يقولون لا إله إلا الله ؟.

ولكنه يعود فيقول : فما أن وجدت صدر أبي بكر قد شرح لقتالهم حتى علمت أنه الحق"[5].

عمر والقدر :

ولعل قصة موسى من أساسها درس في القدر لأن السورة تقول : ..... ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (طـه:40).

بعد ذكر القصة من بداية الرسالة، واللقاء فوق الجبل، ثم البداية الأسبق وهي الميلاد والنجاة حتى العودة إلى بداية الرسالة، ثم القيام بالرسالة وإرسال هارون معه إلى فرعون، وتفاعل عمر مع قضية القدر حتى كان هو الراوى لأحاديث رسول الله في القدر .

فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ

---

(4) [إسناده صحيح] أخرجه أحمد في " مسنده " (21 / 241 – 242) ، وابن سعد في " الطبقات " (2 / 266) ، وعبد الرزاق في " مصنفه " (5 / 433 – 434) ، وجميعهم من طريق الزهري عن أنس ، إسنادهم صحيح ، وأخرجه ابن إسحاق بإسناد متصل " ابن هشام " (4 / 406) من طريق الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة ، ولم يصرح فيه بالسماع ، ويتقوى بالشواهد والمتابعات .

(5) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الزكاة / بـ وجوب الزكاة / ح 1400) ، ومسلم في (الإيمان / بـ الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله / ح 20) من حديث أبي هريرة .

بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْأَلُ عَنْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفِيمَ الْعَمَلُ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ اللَّهُ النَّارَ][1].

ولقد بلغ التفاعل بين عمر وقضية القدر حتى روي أحاديث القدر معه ابنه عبد الله بن عمر فعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله [كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ أَوْ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ][1].

عمر واليم :
تعلم عمر من قصه موسى أن الأشياء بذاتها ليست هي الفاعلة، كما تعلم أن اليم مسخر من قبل الله.. كما قال الله في سوره طه (أن

---

(1) [صحيح] أخرجه الترمذي في (تفسير القرآن / بـ ومن سورة الأعراف / ح 3075) ، وأبو داود في (السنة / بـ في القدر / ح 4703) من حديث عمر بن الخطاب ، وقال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَمُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُمَرَ وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بَيْنَ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ وَبَيْنَ عُمَرَ رَجُلًا مَجْهُولًا اهـ ، و صححه الشيخ الألباني في (السلسلة الصحيحة / 3 / 323 / ح 1334) .

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (القدر / بـ كل شيء بقدر / ح 2655) من حديث عبد الله بن عمر .

اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي 39) فلم ينسى عمر كيف تحدد دور اليم في إنقاذ موسى، وكيف أنه كان جندياً من جنود الله فتعامل مع اليم بهذه الصفة، صفة الجندية لله تبارك وتعالى، فكان خطابه إلي النيل الذي تضمن الأمر بالفيضان بإذن الله. لما فتح عمرو بن عاص مصر، أتى أهلها إليه، حين دخل شهر بؤنة من أشهر العجم القبطية، فقالوا: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة، لا يجري إلا بها.
فقال لهم: وما ذاك؟
قالوا: إذا كان لثنتي عشرة ليلة، خلت من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحلي، والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو:
إن هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بؤنة، والنيل لا يجري لا قليلاً، ولا كثيراً.
وفي رواية: فأقاموا بؤنة، وأبيب، ومسرى، وهو لا يجري، حتى هموا بالجلاء.
فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه عمر: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإني قد بعثت إليك بطاقة، داخل كتابي هذا، فألقها في النيل.(ج/ص: 1/ 29)
فلما قدِمَ كتابه، أخذ عمرو البطاقة، ففتحها، فإذا فيها: من عبد الله عمر، أمير المؤمنين، إلى نيل مصر، أما بعد:

فإن كنت تجري من قبلك، فلا تجرِ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك، فنسأل الله أن يجريك.
فألقى عمرو البطاقة في النيل، فأصبح يوم السبت. وقد أجرى الله النيل، ستة عشر ذراعاً، في ليلة واحدة، وقطع الله تلك السنة، عن أهل مصر إلى اليوم .
وانبثاق مهمة التحليل النفسي من المصطلحات الشرعية يقتضي أن يكون هذا الانبثاق من جميع جوانب المصطلح الشرعي وسنجد ذلك واضحاً من خلال مصطلح الإيمان؛ إذ إننا سنجد التحليل من خلال جوانب الإيمان المتعددة :
1- جانب الإيمان بالله....
2- جانب الإيمان بالقدر.
3- جانب الإيمان بالغيب.

الجانب الأول : الإيمان بالله :

وفي تفسير هذا الأساس جاءت آيات سورة الأعراف التى ورد فيها ذكر الأسماء الحسنى وما قبلها وما بعدها توضح هذا الأساس بصورة قوية جداً :
 مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (الأعراف:178)
 وَلِلَّهِ الأسماء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي اسمائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأعراف:180).
 وَلَقَدْ ذَرَأنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ إذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (الأعراف:179).

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف:181).

وفي ذلك يقول ابن القيم[1] " القرآن كلام الله وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته، فتارة يتجلى في صفات الهيبة والعظمة والجلال؛ فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس، وتخشع الأصوات ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء.

وتارة يتجلى في صفات الجمال والكمال، وهو كمال الأسماء وجمال الصفات وجمال الأفعال الدال على كمال الذات؛ فيستنفذ حبه من قلب العبد قوة الحب كلها، بحسب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله، فيصبح فؤاد عبده فارغاً إلا من محبته؛ فإذا أراد منه الغير أن يعلق تلك المحبة به أبى قلبه وأحشاؤه ذلك كل الإباء...فتبقى المحبة له طبعاً لا تكلفاً.

وإذا تجلى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان انبعثت قوة الرجاء من العبد وانبسط أمله وقوى طمعه، وسار إلى ربه وحادي الرجاء يحدو ركاب سيره، وكلما قوى الرجاء جد في العمل؛ كما أن الباذر كلما قوى طمعه في المغل غلق أرضه بالبذر، وإذا ضعف رجاؤه قصر في البذر.

وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة؛ انقمعت النفس الأمارة وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب والحرص على المحرمات، وانقبضت أعنة رعوناتها، فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر.

---

(1) راجع الفوائد لإبن القيم ص 95 وما بعدها، فصل : تجليات الرب.. ط الريان.

وإذا تجلى بصفات الأمر والنهي والعهد والوصية وإرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع؛ انبعثت منها قوة الامتثال والتنفيذ لأوامرة والتبليغ لها والتواصي بها، وذكرها وتذكرها، والتصديق بالخبر، والامتثال للطلب، والاجتناب للنهي.

وإذا تجلى بصفات السمع والبصر والعلم انبعث من العبد قوة الحياء فيستحيى من ربه أن يراه على ما يكره، أو يسمع منه ما يكره، أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه، فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى.

وإذا تجلى بصفات الكفاية والحسب، والقيام بمصالح العباد، وسوق أرزاقهم إليهم ودفع المصائب عنهم، ونصره لأوليائه، وحمايته لهم ومعيته الخاصة لهم، انبعثت من العبد قوة التوكل عليه والتفويض إليه والرضا به وبكل ما يجريه على عبده، ويقيمه فيه مما يرضى به هو سبحانه. والتوكل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده وثقته ورضاه بما يفعله ويختاره له.

وإذا تجلى بصفات العز والكبرياء أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته، والانكسار لعزته والخضوع لكبريائه وخشوع القلب والجوارح، فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته، ويذهب طيشه وقوته وحدته.

وجماع ذلك : أنه سبحانه يتعرف إلى العبد بصفات إلهيته تارة، وبصفات ربوبيته
تارة، فيوجب له شهود صفات الإلهية؛ المحبة الخاصة والشوق إلى لقائه، والأنس والفرح به

والسرور بخدمته، والمنافسة في قربه، والتودد إليه بطاعته، واللهج بذكره، والفرار من الخلق إليه ويسير هو وحده همه دون سواه.

ويوجب له شهود صفات الربوبية؛ التوكل عليه والافتقار إليه والاستعانة به؛ والذل والخضوع والانكسار له، وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته، وإلهيته في ربوبيته، وحمده في ملكه، وعزه في عفوه، وحكمته في قضائه وقدره،ونعمته في بلائه، وعطاءه في منعه، وبره ولطفه وإحسانه ورحمته في قيوميته، وعدله في انتقامه، وجوده وكرمه في مغفرته وستره وتجاوزه، ويشهد حكمته ونعمته في أمرة ونهيه، وعزه في رضاه وغضبه، وحلمه في إمهاله، وكرمه في إقباله، وغناه في إعراضه.

وأنت إذا تدبرت القرآن وأجرته من التحريف وأن تقضي عليه بآراء المتكلمين وأفكار المتكلفين، أشهدك ملكاً قيوماً فوق سمواته على عرشه، يدبر أمر عباده، يأمر وينهى، ويرسل الرسل، وينزل الكتب، ويرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، يرى من فوق سبع، ويسمع ويعلم السر والعلانية، فعال لما يريد، موصوف بكل كمال، منزه عن كل عيب، لا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ليس لعباده من دونه ولي ولا شفيع.انتهى

ولذلك يقول ابن القيم : من الناس من يعرف الله بالجود والإفضال والإحسان، ومنهم من يعرفه بالعفو والحلم والتجاوز، ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام، ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة، ومنهم من يعرفه بالعزة والكبرياء، ومنهم من يعرفه بالرحمة والبر واللطف، ومنهم

من يعرفه بالقهر والملك، ومنهم من يعرفه بإجابة دعوته وإغاثة لهفته وقضاء حاجته.

وأعم هؤلاء معرفة من عرفه من كلامه، فإنه يعرفه بأنه قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال منزه عن المثال برئ من النقائص والعيوب، له كل اسم حسن وكل وصف كمال فعال لما يريد، فوق كل شيء ومع كل شيء، وقادر على كل شيء ومقيم لكل شيء آمر وناه، متكلم بكلماته الدينية والكونية، أكبر من كل شيء وأجمل من كل شيء، أرحم الراحمين، أقدر القادرين، وأحكم الحاكمين فالقرآن أنزل لتعريف عباده به ويبصر أهله الطريق الموصل إليه وبحال السالكين بعد الوصول إليه.

وفي تفسير قول النبي " أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور بصري، وجلاء همي وحزني "[1].

---

(1) [إسناده صحيح] أخرجه أحمد في " مسنده " (1 / 391 – 452) ، وابن حبان في " صحيحه " (2372 – موارد) ، والحاكم في " المستدرك " (1 / 509) ، والطبراني في " الكبير " كلهم عن فضيل بن مرزوق ثنا أبو سلمة الجهنيب عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال عبد الله بن مسعود فذكره ، وقال الحاكم " صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مُختلف في سماعه من أبيه .
فتعقبه الذهبي بقوله :
قلت : أبو سلمة لا يُدرى من هو ولا رواية له في الكتب الستة .
قال الحافظ في " تعجيل المنفعة " صـ 490 – 491 :
أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن روى عنه فضيل بن مرزوق .
مجهول قاله الحسيني ، وقال مرة لا يدري من هو ، وهو كلام الذهبي في " الميزان " ، وقد ذكره ابن حبان في " الثقات " وأخرج حديثه في صحيحه .
وقال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (5 / 267) :
" وأقرب منه عندي ان يكون هو : موسى بن عبد الله الجهني ويكنى أبا سلمة فإنه من هذه الطبقة " اهـ .
واختاره الشيخ الألباني وجزم به بدليل إخراج ابن حبان والطبراني رواية من طريق موسى الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه .
انظر " السلسلة الصحيحة " (1 / 383 / ح 199) .
وأما سماع عبد الرحمن من أبيه فقد أثبته كثير من العلماء كابن معين ، والبخاري فقد روى في " التاريخ الصغير " ما يدل على سماعه ، وأبو حاتم ، وسفيان الثوري ، والمزي كما في

دل الحديث على أن التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أحب إليه وأنفع للعبد من التوسل بمخلوقاته، وكذلك سائر الأحاديث كما في حديث الاسم الأعظيم : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي عَيَّاشٍ زَيْدِ بْنِ صَامِتٍ الزُّرَقِيِّ وَهُوَ يُصَلِّي وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا مَنَّانُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى][1]. وفي الحديث الآخر :[اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ][1]. وفي الحديث الآخر : " اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق "[2].

" تحفة الأشراف " (7 / 74) .

(1) [صحيح لغيره] أخرجه أحمد في " مسنده " (3 / 185 – 245) ، وأبو داود في (الصلاة / بـ الدعاء / ح 1495) ، والنسائي في (3 / 52) ، وابن حبان في " صحيحه " (2382 – زوائد) ، والحاكم في " المستدرك " (1 / 61) ، والطحاوي في " المشكل " (1 / 62) عن خلف بن خليفة عن حفص بن أخي أنس عن أنس بن مالك به ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .
قلت : خلف بن خليفة صدوق اختلط في الآخر .
وأخرجه أحمد في " مسنده " (3 / 120) ، وابن أبي شيبة في " مصنفه " (9410 ، 17457) ، وابن ماجة في (الدعاء / بـ اسم الله الأعظم / ح 3904) عن وكيع ثنا خزيمة عن أنس بن سيرين عن أنس بن مالك به ، وإسناده حسن .
أبو خزيمة هو نصر بن مرداس وقيل صالح بن مرداس . قال أبو حاتم : لا بأي به اهـ ، وقال الحافظ : صدوق اهـ .
فالحديث صحيح بهذين الطريقين .

(1) [صحيح] أخرجه الترمذي في (الدعوات / بـ ما جاء في جامع دعوات النبي صلى الله عليه وسلم / ح 3475) ، وأبو داود في (الصلاة / بـ الدعاء / ح 1493) ، وابن ماجة في (الدعاء / بـ اسم الله الأعظم / ح 3903) ، وابن أبي شيبة في " المصنف " (9409 ، 17456) ، وابن حبان في " صحيحه " (2383) ، والحاكم في " المستدرك " (1 / 504) من طريق مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة الأسلمي به .
وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قلتُ : وهو على شرط مسلم فقط .
وقال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَرَوَى شَرِيكٌ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ وَإِنَّمَا أَخَذَهُ أَبُو إِسْحَقَ الْهَمْدَانِيُّ عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ اهـ .
وصححه الشيخ الألباني في (صحيح الترمذي / 3 / 163 / ح 2763) .

وهذا تحقيق لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأسماء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي اسمائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف:180).

وقوله " أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري "؛ يجمع بين أصلين : الحياة والنور. فإن الربيع هو المطر الذي يحيي الأرض فينبت الزرع، فيسأل الله بعبوديته وتوحيد أسمائه وصفاته أن يجعل كتابه الذي جعله روحاً للعالمين ونوراً وحياة لقلبه بمنزلة الماء الذي يحيى الأرض، ونوراً له بمنزلة الشمس التي تستنير بها الأرض .

والنور جماع الخير كله فقال تعالى : ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:122). ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى: 52).

فأخبر أنه روح تحصل به الحياة ونور تحصل به الهداية.

ولعلك تلاحظ ذلك في كل الآثار النفسية المترتبة على معرفة الله من خلال الأسماء والصفات .

ولقد وضحت هذه القضية في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَا أَصَابَ أحد قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ :

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ	موقف عبودية..
وَابْنُ عَبْدِكَ	تعميق للعبودية..في أصل الذات (الأب).

(2) أحمد في مسند "الكوفيين" (17861)،و النسائي في كتاب "السهو" (1289،1388) عم عمار .وصحح إسناده الشيخ شعيب .

وَابْنُ أَمَتِكَ تعميق أكبر للعبودية.. في أصل العلاقة بالأم (الأب والأم).
نَاصِيَتِي بِيَدِكَ تعميق أكبر للعبودية من خلال معنى الخضوع لله.
مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ...
عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ تعميق أكبر للعبودية من خلال معنى التسليم لله قدراً وشرعاً.
أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أحداً مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا. قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ : بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا.[1]

الجانب الثاني : الإيمان بالقدر
و الدليل العام على العلاقة بين السلوك الإنساني و القدر هو قول الله - سبحانه و تعالى - { و الله خلقكم و ما تعملون } فلابد أن تكون هذه العلاقة أساساً هاماً في تحليل السلوك الإنساني و عقيدة الإيمان بالقدر لها علاقة جوهرية بالنفس البشرية و ذلك من ناحيتين
الناحية الأولى : التأثير السلوكي
الناحية الثانية : التحليل السلوكي
والإيمان بالله يعني الإيمان بأسمائه و صفاته وتعتبر قضية الأسماء و الصفات هي الأساس الأول لتحليل السلوك الإنساني .
1- التأثير السلوكي :-
حيث يتم تحديد الآثار النفسية الجوهرية لهذه العقيدة في النفس و قد بين النبي أن الإيمان هو

(1) [صحيح] اخرجه أحمد في " مسنده " (1 / 391) من حديث عبد الله بن مسعود ، وصححه الشيخ اللباني في (السلسلة الصحيحة / 1 / 383 / ح 199) .

الحرز الحقيقي من شر النفس فنقول: " اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت و أنت رب العرش العظيم"[1].
ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أعلم أن الله على كل شئ قدير و أن الله قد أحاط بكل شئ علما.اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسي و من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم "[2]
فالاستعاذة من شر النفس كان لها مقدمات هي أساسيات الإيمان بالقدر أن ربنا الله ، نتوكل عليه. و أن ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ، و أنه لا حول و لا قوة إلا بالله.
و أن الله على كل شئ قدير و أن الله قد أحاط بكل شئ علما . .
ثم جاء بعد هذه الأساسيات (أعوذ بك من شر نفسي). .
لأن النفس في غياب هذه الأساسيات ستكون شراً مستطيراً.
فعند غياب أساسية " ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن "
سيكون الأسى على ما فات و من هنا كان قول الله " لكي لا تأسوا على ما فاتكم . "
سيكون ذل النفس بتحميلها ما لا تطيق لأن غياب أساسية ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن هو الذي يحمل النفس مسئولية أكبر من حدودها و طاقتها.

---

(1) [موضوع] أخرجه أبو داود في (الأدب / بـ ما يقول إذا أصبح / 5081) من حديث أبي الدرداء .
قال شمس الحق : هَذَا الْحَدِيث لَيْسَ فِي عَامَّة النُّسَخ الْحَاضِرَة وَإِنَّمَا هُوَ فِي نُسْخَتَيْنِ وَلَيْسَ مِنْ رِوَايَة اللُّؤْلُئِيّ وَلِذَا لَمْ يَذْكُرهُ الْمُنْذِرِيُّ . وَقَالَ الْمِزِّيُّ : هَذَا الْحَدِيث فِي رِوَايَة أَبِي بَكْر بْن دَاسَة وَلَمْ يَذْكُرهُ أَبُو الْقَاسِم اِنْتَهَى . اهـ
وقال الشيخ الألباني في (ضعيف أبي داود / ص 503 / ح 1085) .
(2) [صحيح] أخرجه مسلم في (الذكر / بـ ما يقول عند النوم / 2713) من حديث أبي هريرة .

و لذلك قال رسول الله " لا يحل لمسلم أن يذل نفسه ، قالوا: كيف يذل نفسه يا رسول الله ؟ قال يتحمل من البلاء ما لا يطيق "[3].
و في غياب أساسية لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم
سيكون الغرور و الكبر.
و في غياب أساسية التوكل على الله رب العرش العظيم
سيكون اليأس و الإحباط.
و لذلك كانت عقيدة الإيمان بالقدر هي القاعدة التربوية الأولى و الحديث عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال:
[كنتُ خَلْفَ النبيّ صلى اللّه عليه وسلم يوماً فقال: "يا غُلامُ! إني أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فاسأل اللّهَ، وَإذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللّهِ؛ وَاعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّهُ لَكَ، وَإنِ اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَ بِشَيءٍ قد كَتَبَهُ اللّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ][1]
رويناه في الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح وفي رواية غير الترمذي زيادة [احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ

---

(3) [حسن] أخرجه الترمذي في (الفتن / بـ ما جاء في النهي عن سب الرياح / ح 2254) ، وابن ماجة في (الفتن / بـ قوله تعالى يا أيها الذين آمنو عليكم أنفسكم / ح 4065) من حديث حُذَيْفَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ . قَالُوا : وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ ؟ قَالَ يَتَعَرَّضُ مِنْ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ] ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .
قلت : فيه الحسن ، وهو مدلس وقد عنعنه ، وفيه علي بن زيد ليس بالقوي ، وله شاهد من حديث علي ابن أبي طالب ، وابن عمر ، كما في (المجمع / 7 / 274) .
وحسنه الشيخ الألباني في (صحيح ابن ماجة / 2 / 369 / ح 3243) .

(1) [صحيح] أخرجه أحمد في " مسنده " (1 / 293) ، والترمذي في (صفة القيامة والرقائق والورع / بـ منه / ح 2516) ، وابن وهبٍ في " القدر " (28) ، وأبو يعلى في " مسنده " (2556) ، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " (425) ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (1 / 148 ، 149) من حديث ابن عباس ، قال الترمذي : حسن صحيح اهـ.

أمامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللّه في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أنَّ ما أخْطأكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ][2] وفي آخره "وَاعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسراً" هذا حديث عظيم الموقع.

يا غلام . فالحديث للغلمان ليكون أساساً لتكوينهم الشخصي منذ طفولتهم.

و يظل الإيمان بالقدر حرزاً للإنسان مهما بلغ من الضعف و الشاهد على ذلك حادثة حاطب بن أبى بلتعة . . .
عن علي رضي الله عنه قال:

بعثني الرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام، وكلنا فارس، قال: (انطلقوا حتى تأتو روضة خاخ، فإن بها امرأة من المشركين، معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين). فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: الكتاب، فقالت: ما معنا كتاب، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابا، فقلنا: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها، وهي محتجزة بكساء، فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال

---

(2) [حسن] أخرجه أحمد في " مسنده " (1 / 307) ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (1 / 198) ، وفي " الأسماء والصفات " صـ 75 ، 76 ، وفي الاعتقاد صـ 140 ، واللالكائي في " أصول السنة " (4 / 613 ، 614) من طريق حنش الصنعاني عن ابن عباس أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : [يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ فَقُلْتُ بَلَى فَقَالَ إِحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا] ، وإسنادة حسن .

النبي صلى الله عليه وسلم: (ما حملك على ما صنعت). قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق، ولا تقولوا له إلا خيرا). فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال: (أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم). فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم.[1]

و لعلنا نلاحظ من الحديث أن حاطب و هو في أشد لحظات ضعفه لم يتزعزع إيمانه بالقدر إذ يرد على رسول الله و هو يسأله عن الخطاب بقوله " . . ، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع (الله) بها عن أهلي و مالى . . "

2 ـ التحليل السلوكى:

اتجاهات: الإيمان بالقدر هو أكبر مصطلح تحليلي للنفس والقدرة الإلهية المؤثرة في السلوك الإنساني و لهذا المصطلح التحليلي عده عناصر
1- سنن السلوك : المنتهية إلى بُعدها النهائي وهي الأخلاق.
2- المفهوم القدري للحركة النفسية.
3- الغرائز .
4- البيئة : وهي الواقع الذي قدره الله لنشأه العبد دون دخل منه.
5- الوراثة : وهي ما يرثه الولد عن والده بالطبع.

---

(1) [صحيح] أخرجه البخاري في (المغازي / بـ فضل من شهد بدراً / ح 3983) من حديث على رضي الله عنه .

6- الناحية العصبية : وهي التأثير المباشر من خلال الطبيعة الإنسانية والمتجهة نحو حفظ النفس بصورة إلهامية.
7- الناحية الوجدانية (الحب و الكراهية).
8- الفاعلية القدرية الاستثنائية : مثل الرؤى و الفراسة والإلهام.

* * *

1- سنن السلوك :

1- السنة العامه (الدافع) :

وقد ثبت عن النبي أنه ليس هناك للإنسان سلوك من غير دافع وذلك عندما يخبرنا قائلاً: إن أصدق الأسماء همام والحارث[1]؛ لأن كل إنسان لابد أن يهم ولابد أن يحرث؛ أى لابد أن يكون له دافع وسلوك،ويمكن تحليل الهم إلى عدة عناصر :

- **0 الخاطرة.**
- **ثم العزيمة.**
- **ثم الهم.**
- **ثم الفعل.**
- **ثم العادة.**

وقد ذكرها ابن القيم جميعها بقوله : دافعوا الخطرة فإن لم تدفع سارت عزيمة وهمة، فإن لم تدافعها سارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضده سارت عادة، فيصعب عليك الانتقال عنها.

والعادة التي انتهى إليها تطور الخاطرة هي أحد نوعي الدوافع التي يمكن تصنيفها على أساس

---

(1) [صحيح] أخرجه أبوداود في (الأدب / بـ في تغيير الأسماء / ح 4950) من حديث أَبِي وَهْبٍ الْجُشَمِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةُ] ، وصححه الشيخ الألباني في (السلسلة الصحيحة / 3 / 33 / ح 1040) .

مكتسب مثل العادة المذكورة، أو على أساس فطري مثل الغريزة (كما سيأتي بيانها).

والإرادة هي مصدر الطاقة التي يكون بها الدافع، والمثال المفسر لتطور الخاطرة مثل إرادة الشر، أما الإرادة التي تحقق دافع الخير فلها منبع أساسي هو معرفة الله، لأن معرفة الله تحقق محبته، ومحبته تحقق الإرادة، ذلك أن محبة الله تحقق الأنس به سبحانه، والإنسان في أول الأمر يجد التعب في التكليف ومشقة العمل لعدم أنس قلبه بمعبوده، فإذا حصل للقلب روح الأنس زال عنه تعب التكليف والمشاق فصارت له قوة ولذة لتصير الصلاة قرة عينه بعد أن كانت عبئاً عليه، وليستريح بها بعد أن كان يطلب الراحة منها،فله ميراث من قوله صلى الله عليه وسلم : " أرحنا بالصلاة يا بلال "[1] "، "وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"[2]، بحسب إرادته ومحبته وأنسه بالله تعالى ووحشته مما سواه.

2- سنن الإظهار السلوكي :

وهذه السنة ينص عليها ابن القيم بقوله في شفاء العليل :" إن الطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر والطيب والخبيث، وذلك كامن فيها كمون النار في الزناد؛ فخلق الشياطين مستخرجاً لما في طبائع أهل الشر من القوة إلى الفعل، وأرسل

---

(1) [صحيح] أخرجه أبو داود في (الأدب / بـ في صلاة العتمة / ح 4985) من حديث سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : قَالَ مِسْعَرٌ : أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ . فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : [يَا بِلَالُ أَقِمْ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا] .

(2) [صحيح] أخرجه أحمد في " مسنده " (3 / 128) ، والنسائي في " الكبرى " (7 / 61) من حديث أنس ، وسنده حسن ، وصححه الحاكم من طريق آخر (2 / 160) ووافقه الذهبي .

الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير من القوة إلى الفعل، فاستخرج أحكم الحاكمين ما في قوى هؤلاء من الخير الكامن فيها ليترتب عليه آثارها، وما في قوى أولئك من الشر ليترتب عليه آثارها، وتظهر حكمته في الفريقين وينفذ حكمه فيهما، ويظهر ما كان معلوماً له مطابقاً لعلمه السابق.
ومقتضى هذه السنة أن ما يخفيه الإنسان لا بد أن يظهره الله رغماً عنه ويدخل تحت هذه السنة عدة ظواهر سلوكية مثل :

- فلتات اللسان :

وفيها تفسير قول الله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران : 118).﴿ وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ أي : قد لاح على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم من العداوة ما يفضح ما في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله مالا يخفي مثله على لبيب عاقل؛ ولهذا قال : " قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون " ابن كثير ص 89 ج 2.

وقد سبق في التفسير المذكور عن ابن كثير قبل فلتات اللسان صفحات الوجوه ومنها العيون، وهي من الأعضاء الحسية التي تكشف ما في أعماق الإنسان، ولهذا تواتر التعبير في السنة : 'عُرف ذلك في وجهه ". والحقيقة أن الوجه هو أدق الأعضاء تعبيراً عن النفس وبصورة تامة، وأهم الظواهر الدالة على ذلك الضحك والبكاء ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (النجم : 43).

3- السنن الأخلاقية (الثوابت السلوكية) :

الأخلاق هي الصورة الثابتة لباطن النفس البشرية، لأنها الجانب الظاهر لطبيعة النفس الباطنة.

والظهور في معنى الأخلاق دليله الاسم ذاته، وهي من مادة : خلق المتعلقة بظاهر الأشياء وصورتها.. ولذلك يقول ابن منظور صاحب لسان العرب :
الخلوق : وهو الطيب، لأن الطيب أثر ظاهر.
والخلق : هو الشيء الأملس، واللمس صفة ظاهرة.

ولقد اجتمعت الأحاديث على المقارنة بين الصورة الظاهرة للإنسان وهي شكله، والصورة الظاهرة لباطنه وهي خُلقه، وذلك في قول النبي
" الحمد لله الذي أحسن خَلقي، اللهم حسن خُلقي ". وفي تفسير قول النبي عندما رأى يوسف : " إذا هو قد أُعطى شطر الحسن " [1].
حيث قيل أن الشطر الآخر هو الخُلق.

والأخلاق هي العادة والسلوك الثابت في الإنسان. ووصف الخلق بالعادة الثابتة يأتي من قول الله عز وجل : (إن هذا إلا خلق الأولين) أى : عادة الأولين.

ومن الثبات في الأخلاق؛ تثبت الصفة الطبيعية لأن الطبيعة هي الثبات؛ ومن هنا كان تعريف الخلق : هو السليقة، وهو الشيمة، وهو المروءة، وهي من الثوابت في الإنسان. أما تعلق الخلق بالباطن فدليله ما ورد في الحديث من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه الله وقوله تخلق أي أظهر في خلقه خلاف نيته، بذلك يكون التعريف

---

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (الإيمان / بـ الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم / ح 162) من حديث أنس بن مالك في حديث المعراج الطويل .

النهائي للخلق أنه صورة الإنسان.. الظاهرة والباطنة.

والثواب والعقاب يتعلقا بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلق بأوصاف الصورة الظاهرة، وكما كان الثواب والعقاب متعلقاً بباطن النفس فإن هذا الباطن أساس المقارنة بين الأخلاق الإنسانية والبهيمية؛ والباطن هو المتغير الذي يبعد أو يقترب من هذه الطبيعة البهيمية، ومن هنا كان تشبيه الكافر بالحيوان مثل قول الله عز وجل : ﴿... وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ ﴾ (محمد : 12).

فإن قلت : هل يمكن أن يقع الخلق كسبياً، أو هو أمر خارج عن الكسب ؟.
قلت : يمكن أن يقع كسبياً بالتخلق والتكلف حتى يصير له سجية وملكة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس رضى الله عنه : " إن فيك خُلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والإناة "، فقال : أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما ؟ فقال :" بل جبلك الله عليهما ". فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله[1].

فدل على أن من الخلق ما هو طبيعة وجبلة ومنه ما هو مكتسب. وكان النبي يقول في دعاء الاستفتاح : " اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت "[2]، فذكر الكسب والقدر والله أعلم.

---

(1) [صحيح] اخرجه أبو داود في (الأدب / بـ في قبلة الرجل / ح 5225) من حديث زارع بن عامر .
(2) [صحيح] أخرجه مسلم في (صلاة المسافرين / بـ الدعاء في صلاة الليل / ح 771) من حديث علي بن أبي طالب .

ولذلك كان من سنن الله في النفس البشرية أن الله يحسن خلقها إذا سعى صاحبها ابتداءً إلى هذا التحسين. وفي هذا يقول النبي " [illegible] "(3)

1- العلاقة بين الشعور واللاشعور :

ومن ناحية أخرى هناك تحديد للعلاقة بين الشعور واللاشعور، وهو أن الشعور هو النفس، وأن اللاشعور هو روح النفس، فكما أننا فرقنا بين المخ والعقل، ومضخة الدم والقلب بالمعيار الروحي، فإن هذا المعيار هو الذي نفرق به بين الشعور والحالة النفسية المباشرة، واللاشعور وهو الحالة الروحية للنفس..ولأجل أن اللاشعور هو الحالة الروحية للنفس فإن مجالات ظهور اللاشعور ذات طبيعة روحية مثل حالة النوم..

الذي يمكن أن يكون ظاهرة مناسبة لكشف اللاشعور في الإنسان .

2- اللاشعور و الواقع :

ويوازي مصطلح العلاقة بين الشعور واللاشعور. ويحكم العلاقة بين اللاشعور والواقع نفس أحكام العلاقة بين الروح والعقل والنفس، مثل استغفار العبد وهو نائم،كما يحكمها أثر الملك الذي يريد أن

(3) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الأدب / بـ قول الله تعالى يا أيها الذين آمنو اتقوا / ح 6094) ، ومسلم في (البر والصلة والآداب / بـ قبح الكذب وحسن الصدق وفضله / ح 2607) من حديث عبد الله بن مسعود .

يعين على القيام للصلاة فيتمثل له في رؤية المؤذن في منامه فيقوم العبد بحسب الرؤيا فيجد أن الأذان الفعلى يؤذن فيقوم للصلاة.

2- المفهوم القدري للحركة النفسية :

لقد اتفقنا أن الإنسان هو أهم عناصر هذا الكون وحسب قول ابن القيم :" فيه كل ما في هذا الكون ".

واتفقنا أن أبرز ما في هذا الكون هو الحركة.. لذا كان لا بد أن تكون الحركة طبيعة الإنسان.. غير أن الحركة لا تتوقف فقط على مجرد السلوك والتصرفات والعمل، ولكنها تتجلى وتتضح بصورة كاملة في الحركة النفسية للإنسان.. والحركة النفسية للإنسان هي طبيعة الجانب النفسي فيه، حتى يمكن القول أن بقاء هذه الحركة هو الدليل على حياته الحقيقية، ومن هنا كان الجمع بين أهم الظواهر القدرية في النفس البشرية والحياة والموت في قول الله : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى. وَأَنَّهُ هُوَ أماتَ وَأَحْيَا ﴾ (النجم 44:43).

ومن هنا يجب دراسة هذه الحركة دراسة وافية .

ولعل أول خصائص هذه الحركة هو طبيعتها القدرية؛ حيث يتحول الإنسان من حالة إلى حالة دون متابعة شعورية لهذا التحول..

والدليل على ذلك أن دعاء فك الكرب وهو قول المكروب : "لا حول ولا قوة الا بالله "[1] أى إن التحول من حالة الكرب النفسي إلى حالة الانفراج لا تكون الا بالله؛ يثبت الطبيعة القدرية للحركة النفسية من خلال ظواهرها الثابتة ونسبة هذه

---

(1) [صحيح] وقد تقدم

الظواهر إلى الفعل الإلهي كما سبق في قول الله : ﷻ وأنه هو أضحك وأبكى ﷻ.

ولذلك كان من أبرز خصائص الحركة النفسية هو انتقالها بين الحماس والفتور كما قال الرسول ﷺ: " لكل شيء شرة وفترة ". كظاهرة نفسية و سلوكية ثابتة في الانسان .

ولأجل أن الحركة صفة جوهرية للنفس البشرية فإن أشد ما يمر بالإنسان حبس النفس عن تلك الحركة، وهو ما يطلق عليه الصبر، ومن هنا كان الصبر لغة هو : "حبس النفس ". ولعل التفسير اللغوي يفسر معنى الحركة الأصلية..

ولعل أهم ظواهر الحبس أو الصبر التي لا يقدر الإنسان عليها ويبغضها؛ هي الانتظار إلى الدرجة التي يؤكد فيها الرسول ﷺ رغبة الإنسان في الحركة ولوكان متجهاً إلى الخطر والضرر، حيث يقول الرسول ﷺ في أهل الموقف : يود الناس الانصراف ولو إلى جهنم
ولعل أهم العمليات النفسية المخففة لثقل الانتظار هو التردد بين الروح والمجئ
أي : من حالة الحبس النفسي ... بالحركة السلوكية (التردد) وهو تصرف طبيعى ثابت عن الرسول ﷺ عندما كانت تهب ريح قبل أن ينزل المطر، حيث كان يروح ويجئ تخفيفاً لوطأة انتظار المطر الذي يطمئن بنزوله ويدرك أنه لم يكن وراء هذه الريح عذاب متوقع..
إن هذه الحالة العصبية التي تخف فيها وطأة الانتظار لها معنى واحد هو التخفيف بالحركة المانعة من الإحساس بالانتظار .

أ- العلاقة الطردية :

ومن أهم حقائق المفهوم القدري للحركة النفسية حقيقة في الإنسان هي العلاقة الطردية، وهي تعلق صفة بصفة سلباً وإيجاباً. ولعل أوضح الأمثلة على تلك العلاقة هي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يكبر الإنسان ويكبر معه شيئان : حب المال وحب الحياة "[1].
ومن أمثلة العلاقة الطردية : العلاقة بين الإرادة (العزم) والذاكرة، وهو الواضح في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (طـه:115).

ب- العلاقة العكسية :

والمثال عليها التقابل في النفس البشرية بين العلم والمال حيث يأتي من زاوية أنهما سلوك مطلق لا تحده النفس البشرية، وهذا معنى قول الرسول ﷺ : " منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال "[2]. فكان التقابل ناشيءاً عن صدور السلوكين من طبيعة الدوافع المطلقة في النفس البشرية.

ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم (منهومان لا يشبعان) وهو معني الدافع المطلق . أما التقابل بين طالب العلم وطالب الرئاسة فهو ناشئ عن مقتضى السلوكين وليس من الدافع لهما، حيث إن مقتضى كل من العلم والرئاسة الانشغال التام واستحواذ صاحب السلوك سواء طلب علم أو طلب رئاسة على الطاقة الذهنية بالكلية

---

(1) [صحيح] أخرجه البخاري في (الرقاق / بـ من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه / ح 6421) من حديث أنس بن مالك .
(2) أخرجه الدارمي في (المقدمة / بـ في فضل العلم والعالم / ح 331) من حديث الحسن بن أبي الحسن مقطوعاً .

3- الغرائز : ومنها النوم

و فيه يمكن القول أن هي في حقيقتها غيبة الشعور بالنفس هو في جوهره غيبة حاسة السمع، ومن السمع يتم الانتقال إلى المخ حيث يتحقق أثر غيبة السمع في المخ في صورة انقطاع كل حواس الإنسان عن الواقع..

وباعتبار أن السمع أعمق حاسة من الحواس التي تبلغ المخ وتؤثر فيه، كان النوم هو الضرب على الآذان كما قال سبحانه في فتية الكهف : فَضَرَبْنَا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (الكهف :11).

ومن هنا فإن أي محاولة لإيقاظ نائم يجب أن تقوم على هذه الفكرة، مثل أن يشم رائحة نفاذة تصل إلى المخ بصورة أعمق من السمع، أو نضح الماء على الوجه إنشاءاً للصلة بين المخ والجهاز العصبي في أدق منطقة عصبية للإنسان والجهاز العصبي (الوجه)، فإن السنة تثبت إمكانية مسح النوم عن طريق مسح الوجه باليد. كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم .

وباعتبار الصلة بين النوم والمخ كانت حركة الرأس من أكبر الأدلة على قوة النوم أو ضعفه، على أساس أن حركة الرأس مؤشر لحالة النائم ، ومن هنا فإن الشيطان عندما يحاول منع الإنسان من اليقظة للصلاة فإنه في الأساس يمنع حركة الرأس، ومن هنا كان العقد على القافية من أساليب الشيطان المختلفة لاستمرار نوم الإنسان كما قال : "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة

مكانها: عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان "[1].

ولذلك كان جزاء من ينامون عن الصلاة شدخ رؤسهم بحجر: كما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسراء والمعراج.[2]

ومن الأساليب الأخرى لإحداث فاصل بين المخ والحركة العصبية حتى يبدو الإنسان وكأنه نائم من غير تغميض عينيه، وهي الظاهرة التي أخبر عنها الرسول : عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن أحدكم إذا كان في المسجد جاءه الشيطان فأبس منه كما يأبس الرجل بدابته فإذا سكن له زنقه أو ألجمه".

قال أبو هريرة: فأنتم ترون ذلك أما المزنوق فتراه مائلاً وأما الملجوم فتراه فاتحاً فاه لا يذكر الله) [3]

وليس أدل على كون النوم غيبة لشعور النفس؛ من منع الشيطان الإنسان من إتمام الذكر، إذ يقول الرسول : " فيأتى الشيطان إلى أحدكم فينومه "[4] الحديث.

و النوم لغة هو : الرقود، وهو القعود بالبدن كمظهر من مظاهر فقد التحكم العصبي في الجسد..

---

(1) [متفق عليه] اخرجه البخاري في (الجمعة / بـ عقد الشيطان على قافية الرأس / ح 1142) ، ومسلم في (صلاة المسافرين وقصرها / بـ ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح / ح 776) من حديث أبي هريرة .

(2) [صحيح] أخرجه البخاري في (الجنائز / بـ ما قيل في أولاد المشركين / ح 1386) من حديث سمرة بن جندب .

(3) [صحيح] أخرجه أحمد في (المسند / 8170) من حديث أبي هريرة ، قال الشيخ شعيب ، إسناده قوي .

(4) [صحيح] أخرجه أبو داود في (الأدب / بـ في التسبيح عند النوم / ح 5065) من حديث عبد الله بن عمرو ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الكلم الطيب .

وعلى ضوء تفسير النوم يمكن تفسير أهم الظواهر المرتبطة به وأهمها..
الأرق إذا كان هناك شعور ملح يقاوم النوم ، وأبرز أمثلة هذا الشعور هو الإحساس بالخوف لأن الخوف يمنع الأمنة التي يكون بها النعاس إلى الحد الذي تكون العلاقة بين الأمنة و النعاس علاقة تبادلية فإذا أمن الإنسان نام إذا نام أمن كما قال الله " إذ يغشيكم النعاس أمنة منه . ." ولما كان النوم فقد للاراده والإحساس كانت مسئولية الإنسان عن نفسه واقعة في فترة ما قبل النوم من حيث الحال الذي يكون الإنسان عليه من المعصية أو الطاعة، ومن حيث النية التي يعقدها للقيام بالطاعة بعد النوم، ومن حيث الانشغال النفسي وطبيعته قبل النوم، وكذلك حال المكان الذي اختاره لنومه حيث يشكل هذا المكان أثراً جوهرياً جعل رسول الله ينتقل من المكان بعدما طلعت عليهم الشمس، ولم يكونوا صلوا الصبح فقال إن في هذا المكان شيطان، وأمر بالرحيل[1]. ومثل أمر الرسول بالتحول عن مكان النوم إذا رأى ما يكره [2].

فعندما أريد النوم لابد أن أختار مكانه، و لنضرب لذلك مثلا فان نام إنسان في مكان يدق فيه جرس يحضر الشيطان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان لهذه الاجراس تابعا من الشياطين) فإذا دق الجرس حضر الشيطان وتسلط على النائم لإفزاعه، وبنفس الصورة التي كان منها التسلط فيرى جرساً وهو نائم، مثل ان يرى جرس مزلقان وأن القطار سيصدمه فيستيقظ فزعاً على صوت الجرس الموجود في

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (المساجد / قضاء الصلاة الفائتة / 680) من حديث أبي هريرة .
(2) [صحيح] أخرجه مسلم في (الرؤيا / 2262) من حديث جابر .

الشقة وهكذا. فيفزعه ليقوم ليجد سبب التسلط وهو الجرس الذى دق فى البيت .

و أقرب تفسير لظاهرة النوم هو الموت، ودليل ذلك قول الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إلى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الزمر:42)

فالنوم هو توفية النفس من غير موت، والتوفية هي إمساك النفس، وإمساك النفس هو فقد الإنسان الشعور بنفسه في حالة إمساكها..

و لذلك ربط رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون. ولذلك تتوافق الظاهرتان في حقيقة جوهرية وهي:

* حالة ما قبل النوم والاستيقاظ عليها، تماماً مثل :

* حالة ما قبل الموت والبعث عليها.

فالذكر قبل النوم هو الذي يعطى القدرة على الذكر عند الكابوس، وفي هذا تفسير للعلاقة بين حالة اليقظة والنوم والاستيقاظ من النوم.

4- البيئة :

الجنين ـ الارض ـ القيامه ـ الجنه .

وقد جاء في المقدمة مصطلح "البيئة القياسية". وتحت عنوان البيئة يكون تفصيل ما أجمل، فالبيئة من البوء أي : مكان الإقامة الذي تتخذه وتأوي إليه. قال سبحانه : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس:87).

ومن الممكن أن تكون البيئة للمكان أو المكانة.
فنقول : تبوأ منزلاً، وتبوأ منزلة، ومنه جاء : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف:56)، أي : مكانة عالية، فلا يمتنع عنه أي مكان يريده.

وبذلك يمكن أن تكون البيئة حسية أو معنوية. وقد جمع الله الأمرين للأنصار
في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإيمان مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر:9)، فجعل الإيمان محلاً لهم.

وبذلك يمكن القول : بيئة الإيمان.. أي البيئة القياسية لمن يعيش فيها وتم من خلالها تحقيق الإيمان أو تصحيحه أو زيادته..
أو بعبارة مختصرة؛ مكان حياة المؤمن (الشخصية السوية).

ومما سبق يمكن أن يمتد معنى البيئة لكل مكان بحياة الإنسان ابتداءًا من بطن الأم.. التي يوجد فيها الإنسان جنيناً.

والآن تحاول الجاهلية تصحيح هذا الخطأ بتقديم الدراسات حول الحالة النفسية للجنين في بطن أمه..

ولكن علم النفس الإسلامي يبدأ البداية الصحيحة فيعتبر أن بطن الأم هي أول الحقائق الاصطلاحية للبيئة..

المرحلة الجنينيه :

ويحفظ لنا التراث الإسلامي حقيقة هي بطبيعتها إعجازية ولكنها تتضمن دلالة لما نحن بصدد إثباته، ذلك هو قول رسول الله " إن أم يحيى قالت لأم عيسى : أما علمت أن الذي في بطنى يسلم على الذي في بطنك ". وحتى لا يحتج بأن مثال عيسى ويحيى مثال إعجازى نذكر الدليل العام على تكوين الشخصية كما ستكون في الواقع من خلال حديث الملكين، إذ إن حديث الملكين يثبت أن الإنسان قد كتب عليه كل ما يتعلق به وهو لم يزل بعد فى بطن امه.

- الأرض :

و إذا كانت المرحله الجنينيه هى البدايه الواقعيه لتحقيق ما كتب على الانسان بطريق الملكين فإنه بالولاده يدخل فى بيئه جديده وهى الارض .

ولذلك كانت الارض بيئه واحده عامه لمن ولد عليها من البشر وكانت مهيئه للانسان قبل خلقة ولذلك طرأت على الإنسان خصائصه التي يتحمل بها الأحوال المترتبة على هذا النزول بصفته عقوبة.

وكان أهم هذه الأحوال الأرضية بهذه الصفه العامه هى الجوع والعرى والظمأ والحر،

و النصب والكدح...

كما كانت ايضا بيئات مختلفه تتميز كل بيئه منها بخصائصها الثابته .

وكان أهم تصنيف للبيئه هو مصطلح البداوة و الحضارة .

البداوة والحضارة :

ونصوص الكتاب والسنة تحدد أهم المفاهيم الحضارية المؤيدة للمفهوم القائل بأن الإنسان هو مرتكز الحضارة، حيث جاء قول الله عز وجل : ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: 97).

باعتبار أن الأعراب هي النوعية المنفصلة عن إطار الواقع الحضاري للدولة الإسلامية وهم البدو الرُّحل الذين كانوا في مواقع متناثرة من الصحراء من مكة " أم القرى " والمدينة. وكما انفصلت الأعراب عن واقع الدولة انفصلت كذلك عن حركتها وامتدادها العسكري، فكان الأعراب هم المخلفين، وفي هذا جاء قول الله : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (الفتح:16).

وكنتيجة لانفصال الأعراب عن واقع الدولة؛ كان التخلف الاجتماعي فجاءت الحضر مقابل السفر. وباعتبار أن السفر هو الظرف المؤقت المانع لصاحبه من الاستقرار الاجتماعي والذي يجيز للمسافر القصر في الصلاة، فارتبط بذلك معنى الاستقرار الاجتماعي بمفهوم الحضر أو الحضارة.

ولأجل ارتباط الحضارة بالاستقرار الاجتماعي فإن الإسلام يعالج الفارق الحضاري بين الدولة باعتبارها قمة الاستقرار وبين واقع هؤلاء الأعراب باعتبار بعدهم عن الدولة.

وأهم عناصر هذه المواجهة هو التحذير من أن تكون الدولة موضعاً لتأثير الأعراب وعاداتهم. وفي هذا يقول الرسول ﷺ " لَا تَغْلِبَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ عَلَى

اسم صَلَاتِكُمْ الْمَغْرِبِ " فالْأَعْرَابُ تَقُولُ هِيَ : الْعِشَاءُ.[1]

ومن عناصر تلك المعالجة؛ واجب استيعاب آثار الفارق الحضاري بين الدولة والأعراب من الناحية السلوكية. ومن أمثلة ذلك حديث الأعرابى الذي بال في المسجد الذي رواه البخاري، وفيه نهى النبي الصحابة أن يقطعوا عليه بولته، وقال: "لا تزرموه" (لا تقطعوا عليه بولته) ثم أفهمه الخطأ بقوله : " أخا العرب ما جعلت المساجد لهذا وإنما جعلت لعبادة الله "[2]. حتى إن الأعرابى تأثر لحكمة النبي ورحمته فقال : اللهم ارحمنى ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. فقال له النبي : " لقد حجّرت واسعاً "[3]. يعني ضيقت رحمة الله عز وجل بهذا الدعاء .

والأعرابي الذي جاء إلى الرسول وقال له : أعطني من مال الله لا مالك ولا مال أبيك[4]. والآخر الذي قال : يا بني عبد مناف إنكم قوم مطل.

ويدخل في إطار واجب الاستيعاب مراعاة الناحية العقلية، ومن أمثلة ذلك : الأعرابى الذي تصفه الصحابة بقولهم نسمع دوي صوته ولا نفقه ما

---

(1) [صحيح] أخرجه البخاري في (مواقيت الصلاة / بـ من كره أن قال للمغرب عشاء / 563) من حديث عبد بن مغفل .

(2) [صحيح] أخرجه مسلم في (الطهارة / بـ وجوب غسل البول وغيره من النجاسات / 284) عن أَنَسِ بْن مَالِكٍ قَالَ : [بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْ مَهْ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ **ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ** فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ] .

(3) [صحيح] أخرجه البخاري في (الأدب / بـ رحمة الناس والبهائم / ح 6010) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ وَالنَّبِيُّ جَالِسٌ فَصَلَّى فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أحداً، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ فَقَالَ : لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ النَّبِيُّ :" أَهْرِيقُوا عَلَيْهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ " دَلْوًا مِنْ مَاءٍ " ثُمَّ قَالَ : " إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا " مُعَسِّرِين .

(4) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (فرض الخمس / 3149) ، ومسلم في (الزكاة / بـ إعطاء من سأل بفحش وغلظة / 1057) من حديث أنس .

يقول، حتى جاء إلى رسول الله فيقول : يا محمد، ثم يسأل ماذا فرض الله عليه في اليوم والعام والعمر فيجيبه النبي عن ذلك فيقول الأعرابي : والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص[1]. والحديث بنصه متفق عليه.

وفي النهاية يقرر النبي الارتباط بين البداوة والجفاوة كحقيقة قدرية في الطبع الإنساني فيقول : " من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل "[2].وفي رواية : من سكن البادية جفا [3]

ومن مجموع هذه النصوص المقارنة بين البداوة والحضارة نستطيع أن نقدم مثالاً للسلوك الحضاري وغير الحضاري.

وأهم أمثلة السلوك الواردة في نصوص المقارنة؛ أن الكفر والنفاق والجفاوة والقعود عن القتال - وهي الصفات الأساسية - للأعراب تعتبر سلوك غير حضاري. وكذلك سلوك الأعرابي في المسجد، وكذلك سوء أدب الأعرابي مع الرسول ، فكل هذه الأنماط السلوكية بالمفهوم الإسلامي للحضارة تعتبر سلوك غير حضاري.

وفي المقابل يكون الإيمان والصدقة والرقة والجهاد والرحمة والحكمة ومراعاة الفوارق العقلية واستيعاب رعونة الغير؛ تعتبر بالمفهوم الإسلامي للحضارة سلوك وقيم حضارية.

وإذا كنا قد اتفقنا أن لكل أحوال بيئية خصائصها المقابلة لها في النفس، فإن هناك خصائص هي

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الإيمان / بـ الزكاة من الإسلام / 46) ، ومسلم في (الإيمان / بـ بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام / 11) من حديث طلحة بن عبيد لله ؟.

(2) [ضعيف] أخرجه أحمد في (المسند / 8619) من حديث أبي هريرة .
قال الشيخ شعيب : **ضعيف للاضطراب الذي وقع في إسناده .اهـ**

(3) النسائي :" الصيد والذبائح "،وأبو داود : "الصيد "، وأحمد : " مسند بني هاشم ".

في حقيقتها ناشئة عن حال الانتقال بين البيئات، سواء من نزول آدم من الجنة إلى الأرض أو عودته من الأرض إلى الجنة، مثل خصيصة الحنين إلى الماضي الناشئة عن حياة الإنسان على الأرض بعد خروجه من بيئته الأصلية وهي الجنة، ومثل انتقال الإنسان إلى الجنة بخصائصه الناشئة عن أحوال الأرض.

إن إدراك الثوابت النفسية للإنسان لن يكون إلا بعد تحديد الخصائص النفسية له في كل مراحله البيئية؛ وذلك لأن مجموع هذه المراحل هي الحياة الإنسانية التي أرادها الله .

واستمرار مجموعة الخصائص خلال مجموع هذه المراحل هو الذي يمكن أن نسميه الثوابت النفسية..

ومما لا شك فيه أن ارتباط الخصائص النفسية بكل مرحلة من المراحل البيئية بطبيعتها التي خلقها الله يعتبر حالة صحية، أو بمعنى آخر أن اختلاف الخصائص النفسية باختلاف البيئة هو أساس إثبات هذه الخصائص، فإذا نظرنا مثلاً إلى الوجود الإنساني على الأرض نجد أنه ذو طبيعة كدحية؛ لأن النزول على الأرض أساساً كان وضعاً استثنائياً، وعندما تنشأ الخصائص النفسية المتفقة مع طبيعة الكدح لا يكون ذلك هو الآخر استثناءً نفسياً ولكن يكون خصيصة نفسية طبيعية لموافقتها لمقتضى طبيعة البيئة .

الجنة.. البيئة الأصلية..

وانتقال الإنسان إلى الجنة هو في حقيقته جزاء لما كان منه في الدنيا، فكان لا بد أن يقاس نعيم الجنة كجزاء على واقع الدنيا كعمل، وأول مقتضيات هذا الانتقال أن يكون الإنسان بذاته

وشخصيته ونفسيته هو الذي يكون في الجنة لأنه هو الذي عمل في الدنيا، ولكنه انتقل بها كصفة مكتسبة أراد أن يحياها في الجنة .
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث، وعنده رجل من أهل البادية
(أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: ألست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع، قال: فبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال، فيقول الله: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء). فقال الأعرابي: والله لا تجده إلا قرشيا أو أنصاريا، فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم.
ولقد وضح هذا القياس من نص حديث : " أريد أن أزرع "، وقد اكتسب هذا الرجل تلك الصفة : " الرغبة في الزرع من الأرض "

وتأتى الأدلة على انتقال الإنسان بتكوينه الذي كان عليه في الدنيا،حتى انه وجاء فى تفسير قول الله عز وجل : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ (الحج:19).

تحديد أشخاص بأعيانهم كمثال تطبيقي للآية.

ومن هنا فإن الخصائص النفسية في الانسان و الناشئة عن ارتباط الانسان بكل مراحل البيئه ..لا تظهر إلا من خلال البيئه الأصلية وهي الجنه .

كما أن الأدلة على أن الناس يدخلون الجنة بطبيعتهم الإنسانية التي كانوا عليها في الدنيا هي تنقية المظالم التي كانت بينهم على أبواب الجنة؛

حيث نلاحظ أن الإحساس بالظلم ظل متعلقاً بالنفس حتى أبواب الجنة ولم تذهب الدنيا ولا أهوال القيامة ولا موقف الحساب ولا المرور من فوق الصراط لم تذهب هذه الأشياء بهذا الإحساس، مما يدل على أن الإحساس بالظلم إحساس أصيل في النفس البشرية، ومدى أصالة الإحساس بالظلم هو في ذاته دليل على ترتيب المشاعر في النفس ، لأن الله حرم الظلم على نفسه وجعله بيننا محرماً، فلا بد أن يكون الإحساس بالظلم عند البشر متفقاً مع حكم الله عز وجل بتحريم الظلم على نفسه وجعله بيننا محرماً،

وكما أن أصل الإحساس بالظلم عند الناس بتحريمه بيننا ؛ فإن إحساس الغيرة يكون مثل الإحساس بالظلم كما قال رسول : " ما أحد أغير من الله ومن أجل ذلك أنزل الحدود " وكما قال رسول الله :" أتعجبون من غيرة سعد فالله أغير منه "[1]. ولم يتوقف إحساس الغيرة هو الآخر في الجنة، ومن هنا كانت عدم رؤية زوجات الرجل الواحد لبعضهن في الجنة، وكذلك حديث الرسول : "... قَالَ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أَتَيْتُ الْجَنَّةَ فَأَبْصَرْتُ قَصْرًا فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا ؟ قَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَلَمْ يَمْنَعْنِي إِلَّا عِلْمِي بِغَيْرَتِكَ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ :بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوَعَلَيْكَ أَغَارُ"[1].

ـ القيامه :

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الحدود / بـ من رأى مع امرأته رجلا فقتله / 6846) ، ومسلم في (اللعان / 1449) من حديث المغيرة .

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (النكاح / بـ الغيرة / 526) ، مسلم في (فضائل الصحابة / بـ من فضائل عمر / 2394) من حديث جابر .

ما بعد وهي بعد البيئه الارضيه وقبل الجنه وهي التي .. ينطبق عليها مصطلح البيئه بكل مقايسه حيث سيكون يوم القيامه .. مكان حياه انسانيه فتره زمنيه تقدر بخمسين ألف سنه .

ولما كانت لكن أهم الخصائص الإنسانية التي تظهر يوم القيامة هي رغبة الإنسان في التحول وكراهية الانتظار؛ لأن الناس في هذا اليوم يودون الانصراف ولو إلى جهنم، وعلى ضوء هذه الحقيقة نجد أن أهم صفات الجنة ونعيمها هي الابتعاد بالإنسان عن هذه الطبيعة، فجعل الله سبحانه الجنة واقعاً متغيراً، وجعل النعيم في زيادة دائماً لكي لا يبغي الإنسان عنها حولاً، حتى إن الفاكهة الواحدة التي تؤكل أول مرة تكون التي بعدها أحلى منها، وحتى إن الكوب الذي يشرب منه العبد شيئاً يكون آخره أحلى من أوله، وحتى إن الأبكار في الجنة يعدن أبكاراً كل مرة كأن لم يقربهن أحد من قبل، وهذا هو سر تكرار الصورة التعبيرية بالحركة في الجنة بقول الله : (تجرى من تحتهم الأنهار)، لأن الحركة للإنسان في الواقع الدائم تكون مريحة وممتعة تنبه على رغبتهم فيها، وحبهم لها مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائماً أنه يسأمه أو يمله فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولاً ولا انتقالاًكما قال سبحانه فى أهل الجنه لا يبغون عنها حولا).

غير أن الجنه يسبقها مرحله بيئيه هامه وهي القيامه ....

التي تمثل المرحلة المباشرة لما قبل الجنه و لذلك كانت المقارنة بين الجنه و القيامه تؤكد تغير الخصائص النفسية للانسان وفقاً للبيئه .

5- الوراثة :

و موضوع الوراثه يعتبر مثالا لتفسير البعد القدرى للتكوين الانسانى الإسلامي، ذلك لأن الوراثة في هذا التصور ليست محدودة بنقل الصفات بين الآباء إلى الأبناء، بل إن لها أبعادها القدرية والشرعية والأخلاقية. فمن أفعال الله في الخلق ما يمكن أن يكون معناه الولاء الكوني وهو الانتماء على أساس الأصل الكوني للخلائق، والمسئولية على أساس هذا الانتماء..
ومن أمثلة الولاء الكوني بصفة عامة : وراثة الشياطين لموقف استكبار إبليس.بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا قرا ابن آدم السجده فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله ـ وفي روايه ـ أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجدة فأبيت فلي النار)
فالذي أمر بالسجود فعلاً هو إبليس ولكن كل شيطان يعتبر رفض السجود موقفه هو ولاءاً منه لإبليس صاحب الموقف أصلاً.

ومن أمثلة الولاء الكوني أيضاً : الأمر بقتل البرص لأنه كان ينفخ النار على سيدنا إبراهيم، فكان الأمر بقتل أى برص ناتجاً عن تحمله لمسئولية نفخ البرص على سيدنا إبراهيم.
وبذلك يعتبر الولاء الكوني أوسع درجات الوراثة، ومنه وراثة الأعمال بذاتها وتحمل آثارها.

ومن هذا المفهوم كانت وراثة أبناء آدم للخطأ الذي فعله آدم في الجنة فخرج بنو آدم جميعهم من الجنة بفعلة أبيهم.

وهذه أول حقائق الوراثة؛ أن الأفعال تورث عن الآباء، ووراثة الأفعال ليست فقط وراثة آثار الفعل أو المسئولية عنه كما في خروج أبناء آدم،

ولكن وراثة الأفعال معني بها وراثة الفعل ذاته وتحوله ونقله من خلال فعل الأب إلى طبيعة الابن السلوكية، بل قد تصبح سلوكاً ثابتاً أو أخلاقياً، ودليل ذلك حديث جحود آدم [1].

خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ومَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ. فَقَالَ : رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ ؟ قَالَ : سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ : أَيْ رَبِّ زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً. فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ : أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ ؟ قَالَ :فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ]. قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ

1ـ ومن أمثله الوراثة الصفات الجسمانية مثلما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها مسرورا يبرق وجهه : ألم تسمعي ما قال محرز المدلجي لما رأى أسامة وزيدا نائمين في ثوب واحد أو في قطيفة قد غطيا رؤسهما وبدت أقدامهما فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض.

---

(1) خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ومَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ. فَقَالَ : رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ ؟ قَالَ : سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ : أَيْ رَبِّ زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً. فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ : أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ ؟ قَالَ :فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ]. قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ

2ـ ومن أمثله السلوك الغريزي.. النوم، حتى إن رجلاً كان يقول عن قومه : وكنا قوم نوّم. أى معروفون بالنوم.ومنها أيضاً : المواهب الخاصة مثل حديث بني تميم : " ارموا بني تميم فإن أباكم كان رامياً "[1].
ومن أمثلة السلوك الاخلاقي ... الصدق في بني عبد مناف : و الدراسة الإسلامية للنفس تثبت مفهوماً للوراثة وحقيقته أن الوراثة لها خطوط ممتدة عبر الأجيال :
خط الامتداد الطبيعي مثلما يكون بين الوالد وولده
خط الامتداد بالدعوة وتفسيره ... قائم علي حقيقة أن الهداية حياة جديدة للإنسان
بدليل قول الله (أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ)(سورة الأنعام :122) هذه هي الحياة الجديدة تحمل خصائص وصفات الظروف التي تحققت فيها هذه الهداية مثل الشخص الذي كان سبباً للهداية ... و الذي يظل التأثر به بصورة ثابتة ودائمة ...(طريقة تفكيره وكلامة وحركاته).
ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول الهداة ... فإن القرآن يصور علاقة الأمة بنبيها . (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)(سورة الفتح: 29).
وتصوير الأمة كزرع أخرج شطأه ...

(1) وجدته في (البخاري / 2899) بلفظ قَالَ : [مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ..] من حديث سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يتضمن ارتباط هذه الأمة كزرع البذرة التي نبت فيها الزرع ومثلما يحمل الزرع خصائص البذرة التي ينبت منها .
حملت الأمة خصائص نبيها ...
حتى أن خط الامتداد الطبيعي و الدعوة ... يتوافقان في الوراثة ...
بدرجة كاملة ...
مثلما توافق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوصف الطبيعي و الملة مع سيدنا إبراهيم ...
ومثلما توافق المهدى المنتظر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوصف الطبيعي والدين ..
إلي حد أن تصبح الدعوة وراثة حيث يقول زكريا (فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا 5 يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)(سورة مريم : 5 ، 6).

6- الجانب العصبي :

وارتباط الدراسات العصبية بالجانب القدري راجع إلى أن أهم مجالات هذه الدراسة هو ما اتفق على تسميته (السلوك اللاإرادي).

ذلك لأن هذا المجال هادف بصورة نهائية إلى حفظ الإنسان مثل الحركة اللاإرادية المشهوره التي يفعلها الإنسان عندما يشك بدبوس حيث يبتعد لا إرادياً عن الدبوس.

والسلوك اللاإرادي سلوك خارج السيطرة العقلية ولكنها خاضعة للسيطرة العصبية ولذلك تسمى "السلوك الإلهامي".اتفاقاً مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل الجنة : " يلهمون التسبيح كما تلهمون النَفَس "[1]..فاللنَفَس حركة لا إرادية، أي حركة إلهامية .

---

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (الجنة وصفة نعيمها / في صفات الجنة وصفة نعيمها / 2835) من حديث جابر .

وباعتبار أن الوحي هو الحد الجامع لحقائق الدين و النفس، فإن الانتباه إلى الأساس النفسي فيه سيضع أعيننا وينبه إفهامنا إلى تصورات رائعة ومعان مهمة في دراسة النفس البشرية، وبهذا الاعتبار يمكن فهم القرآن والأحاديث على أنها نصوص منهجية في هذه الدراسة،

ـ وهذه آية لا يمكن بل يستحيل فهمها إلا بتصور أساسي عن النفس من الناحية العصبية وهو قول الله عز وجل : ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إلى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ (الحج : 15).

وفي تفسير الآية قولان :
الأول : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه " محمداً " ﷺ فليمدد بحبل إلى السماء ثم يخنق نفسه به أي يقطع رقبته.
الثاني : من كان يظن أن لن ينصر الله " محمداً " ﷺ فليمدد بحبل إلى السماء ثم ليقطع هذا الحبل.
والأرجح هو الثاني؛ لأن الآية بعد الأمر بالقطع تقول : (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ(. إذن بقاء هذا الإنسان حي أولى لينظر هل يذهبن كيده غيظه، والدلالة النفسية للنص أن الإنسان عندما يتمنى شيئاً ويعجز عنه فإنه يصنع لهذا الموقف النفسي نموذجياً رمزياً يحقق فيه أمنيته ويعالج غيظه وعجزه.

والرمزية في هذا الموقف هي الحبل الذي يرمز إلى المدد من الله لنبيه ﷺ؛ ولذلك سيرمز إلى المدد بالحبل المشدود إلى السماء والأمنية هي قطع المدد فينقطع الحبل، وهكذا أصبح الموقف رمزياً نفسياً عصبيا .

وفكرة الرمزية طبيعة بشرية يمارسها الإنسان في موقف القوة والضعف، أما موقف القوة فمثاله : الراية التي تدل على الثبات في الحروب، ومثاله : تصرف سليمان مع ملكة سبأ قبل أن يأتيه قومها مسلمين. وكان تصرف القادر بإذن الله، وذلك عندما أتى بالعرش نفسه وهو رمز الحكم والسلطة بحيث أصبحت السيطرة على العرش بعد نقله إنهاءً لإحساسهم بالسيادة.

أما أمثلة موقف الضعف في ممارسة الرمزية فهي ما نراه من العاجزين عن مواجهة دولة بالقوة فيحرقون علمها ليعودوا بعد ذلك وكأنهم هزموا الدولة صاحبة الرمز ، أو يعجزون عن مواجهة شخص ما فيصنعون تمثالاً ويحرقونه.

و أيه قرانيه أخرى فى إتجاه الدراسه العصبيه هي قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (النور:39).

وهي حالة نفسية تفسر العلاقة بين الحواس والمخ، وارتباط هذه العلاقة بالحالة النفسية للإنسان. والحالة هنا هي شدة الاحتياج الشديد إلى الشيء التي تجعل المخ كأثر للتمنى الشديد ينقل الواقع إلى الحواس في صورة ما يتمناه الإنسان.

وليس الاحتياج فقط هو الذي يغير الواقع في إحساس صاحب الحاجة، فقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن الحب الشديد له نفس الأثر، حيث يجعل الإنسان لا يرى من يحب إلا في الصورة التي يريدها، فقال - عليه الصلاة والسلام – : " حبك للشيء يعمي ويصم ".

ـ وحالة تغير الواقع في إحساس الإنسان بالتمني أو الحب هي أقصى درجات التأثير النفسي في الحواس، ولكن هذه الحالة لها بداية، وأولى درجاتها أن ينشأ عند الإنسان احتمال حدوث الشيء الذي يريده، مثلما كان عمر في بيته وكانت الحرب بين المسلمين والروم قائمة وكان للروم حلفاء من القبائل العربية ومنها قبيلة غسان وكان عمر يتوقع مجيئ غسان للحرب، وكان بيت عمر في أعالي المدينة فكان كلما نادى عليه منادياً رد عليه قائلاً: أجاءت غسان؟، حتى كانت المرة التي أشيع فيها أن رسول الله طلق نساءه فجاءه رجل وقال : يا عمر؛ فقال عمر : أجاءت غسان ؟ فقال الرجل : إن الأمر أكبر من ذلك. وحكى له ما تردد بين الناس بخصوص زوجات النبي .

وقد تختلف الدوافع في الإحساس بالواقع .

مثلما كان الدافع الرغبة في الجهاد وكما كان موقف عمر وكان بدافع معاكس لما كان عند عمر وهو إحساس الجُبن و الخوف مثلما قال الله في المنافقين (يحسبون كل صيحة عليهم) .

و في إطار الدراسات العصبية يأتى قول الله : إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (الأحزاب:10).
 زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وهي حالة عصبية تبدأ بصورة نفسية وسببها الانفصال بالعقل عن الواقع حتى تصبح مرحلة عصبية ناشئة عن شدة الانفصال عن الواقع ورفضه.

وأول درجاتها هي توقف المخ عن إعطاء الإشارة إلى البصر بالتركيز فيما يراه مع إزاغة قليلة في مقلة العين. ويشتد الزيغ بحسب درجة الموقف

العصبي، وتبلغ الحالة مداها بتوقف مقلة العين نفسها عن حركتها الطبيعية، فيقف البصر عند نقطة معينة انفصلت عندها إشارات المخ بالنظر فتكون حالة الشخوص (شخوص البصر). وبلغت القلوب الحناجر ؛ وذلك عند زيغ البصر يكون قد بلغ الخوف غايته، وعندما يحدث ذلك تتأثر حركة الدم بحالة الفزع فيزداد القلب في ضخ الدم لتعويض النقص في الدم المتجه نحو المخ.

ولكن الدم الناقص لايعوض بحركة القلب الزائدة فيبدأ القلب في تقليل المسافة بينه وبين المخ، فعندئذ يقترب القلب مكانهُ ويتجه نحو المخ، كما قال تعالى : وبلغت القلوب الحناجر. وعندما يبلغ القلب الحناجر يصبح الفؤاد فارغاً كما قال سبحانه : مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (إبراهيم :43). فتضيف هذه الآيات عنصر الخوف بعد عنصر التمني والحب . باعتبارها العناصر المؤثرة

في إحساس الإنسان بالواقع . عصبيا .

ـ ومن أمثله الدراسة العصبية للنفس من الأحاديث ،

قول الرسول : " المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء ".[1]

والألفاظ في الحديث واضحة :
معي : مفرد أمعاء.
ونحن نسميها أمعاء لأنها جمع.
وقد أتت إليها صفة الجمع من تعدد طولها بنسب ثابتة إلى سبع مسافات عصبية.

---

(1) متفق عليه.

فإذا أكل الإنسان حتى اقترب من إنهاء المسافة الأولى أحس بالشبع. وكان من الممكن أن يقوم عن الطعام وهو يشعر بالشبع.

ولكنه إذا أكل وتجاوز الطعام المنطقة العصبية التي تعطيه الإحساس بالشبع فإنه يشعر بالجوع مرة أخرى حتى تنتهي المسافة العصبية الثانية. وهكذا..

فالمؤمن يشبع في المسافة العصبية الأولى من الأمعاء أي في معي واحد، والكافر لايقوم حتى يملأ كل الأمعاء (سبعة أمعاء).

ومن الدراسات العصبية :

كان رسول الله لا يحب أن يأكل متكئاً [1]. لأن وضع الاتكاء يؤثر على الأعصاب المختصة بالطعام والشراب، ولأن القاعدة العصبية أن التحميل على الأعصاب هو الذي يظهر فاعليتها، فإن الطعام أو الشراب من غير اتكاء يحدث التحميل المناسب لإظهار فاعلية الأعصاب في الإحساس بالشبع. أما الطعام والشراب مع الاتكاء فإنه إلغاء للتحميل والفاعلية.. فيأكل الإنسان ويشرب دون شعور بالشبع والارتواء.

ويلى نموذج الاحساس نموذج الحركه :

والمقصود بهذا النموذج هو التفسير العصبي لحركة الإنسان العضوية والعضلية والعصبية ومنه الاتزان في حركة المشي.

إن دراسة حركة المشي في الإنسان تؤكد أنها تبدأ من أعلى القدم اليسرى.

---

(1) [صحيح] رواه البخاري (4979)،و الترمذى (1753)،وأبو داود (3277)،و ابن ماجه (3253)،و أحمد (18005)،والدارمى (1982).

وإذا أردنا التحديد العلمي الدقيق الكامل نجد أن حركة المشي المتزنة تبدأ من أعلى الفخد الأيسر، وفي هذا المكان تحديداً قال رسول الله في الحديث عند أحمد : " إنكم تدعون مقدماً على أفواهكم بالفدام، فأول ما يسئل عن أحدكم فخذه من الرجل اليسرى. فخذه من الرجل الشمال عندما يختم على أفواهكم بالفدام "[1].

الفدام : ما يشد على فم الأبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه، أي إنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم وجلودهم، فشبه ذلك بالفدام. "

وفي الحديث الذي رواه مسلم :"... ثم يقال له : الآن نبعث شاهداً عليك. ويتفكر في نفسه : من ذا الذي يشهد علي ؟ فيختم الله على فيه، ويقال لفخده ولحمه وعظامه : انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه "[2].

وفي حديث الترمذي : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحدثَ أَهلهُ مِنْ بَعْدِهِ"[3].

و من مجموع الأحاديث يثبت أن أول الشهادة ستكون أعلي فخذه الأيسر ليناسب ذلك أن يكون هذا المكان هو أول الحركة ولذلك سيكون أول الشهادة وذلك كما صرح حديث أخر باللفظ (فأول ما يسئل عن أحدكم فخذه من الرجل اليسرى) .

****

7- الناحية الوجدانية (الحب و الكراهية):

الحب . . . وهو قَدَر توافق الأرواح.

---

(1) [حسن] أخرجه أحمد في (المسند / 19533) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .
(2) [صحيح] وقد تقدم من حديث أبي هريرة .
(3) [صحيح] رواه الترمذي (2107)، و أحمد (11365) وقال الترمذي : حسن صحيح غريب.

قدر : لأنه بيد الله..
توافق : لأن التوافق هو بدايته تقديرا وتحققا.
الأرواح : لأنه لا يكون بغيرها.

وحسب قاعدة علاقة الإنسان بذاته، يترتب عليها أن ترى الذات فيمن توافقت معه رؤية الكمال.

ولذلك كانت رؤية الكمال بين طرفي الحب هي سببه، وهي آثاره أيضاً، فإذا أحبه رأى فيه صفات الكمال الإنساني.
وإذا رأى فيه صفات الكمال الإنساني أحبه.

والفارق بينهما.. أن الحالة الأولى يراها المحب في المحبوب بإحساسه، وفي الحالة الثانية لابد أن يكون بعضاً من هذه الصفات قائمة فعلاً عند المحبوب ليرى فيه صفات الكمال الإنساني.

وأهم صفات الكمال الإنساني الصالحة لأن تكون سبباً للحب إذا كان الطرفان رجل وامرأة.. هي صفات الرجولة والأنوثة.
مثل القوة.. الغنى.. الوسامة في الرجل..
ومثل الأنوثة والجمال في المرأة..
وهي الصفات الوظيفية المباشرة..
ثم تأتي الصفات الإنسانية المشتركة مثل الذكاء..

وهذا ترتيب نظرى عام.. و لكن الترتيب الواقعى الخاص قد تكون فيه الصفة الأولى في الحب هي الصفة التي يرغبها المحبوب ويتمناها في نفسه، كأثر للشخصية المكونة من عوامل الوراثة أو البيئة أو الظروف الاجتماعية.. وحسب قاعدة التوافق التي تبلغ حد التوحد الذاتي فغالباً ما تكون الصفة تكاملية، أي مكملة لنقص واضح في ذات المحب يراها في محبوبه، وهذا ما جعل الحب تفسيراً متعلقاً بالذات، وهو أنه إثبات اجتماعي للذات .

فإذا أردنا تحليل ظاهرة الحب بين رجل وامرأة، نجد أن الظاهرة لها كل الأبعاد الإنسانية.. القدر..الروح..العقل..القلب..السمع..البصر..

سبق القول بأن الحب قدر من الله عز وجل لانه غالباً ما يكون أساساً للزواج، والزواج قدر جامع.. لأنه بدوره أساس للذرية والرزق والامتداد.

وقد يكون التوافق العقلي سبباً للتآلف القلبي المحقق لتعارف الأرواح المحقق لقدر الحب.

وقد يكون السمع سبباً للتآلف القلبي..

ليكون الصوت هو البداية اذ يسمع أحد الاطراف صوت الطرف الاخر فيحبه.

المهم أن ظاهرة الحب.. محصلة نهائية لهذه الأبعاد جميعها..
وعندما ينشأ الحب من أي بداية فإن بقية الأبعاد تنتظم وفقاً لهذه البداية..
فعندما تكون النظرة مثلاً بداية للحب.. فإن المحبوب امتداداً بهذه النظرة الأولى والوحيدة يكون محققاً في إحساسه لمقاييس الجمال المحببة في النفس عند من أحب.
عندئذ تنتظم الأبعاد..بتحقق التعارف في الأرواح والائتلاف القلبي..والتوافق العقلي وجميع الحواس..
فيرى المحب حبيبه في غاية هذه الأبعاد..يحب روحه..ويحب صورته..ويشعر أن صوته أجمل الأصوات وأن صورته أجمل الصور.
يوافقه في عقله وينبض مع قلبه..

واعترافنا بالحب كحقيقة إنسانية واقعة إنما هو اعتراف مجردمن أي مدلول له في الواقع الجاهلي، وهذا التحفظ في غاية الأهمية، إذ إن الحب في الواقع الجاهلي هو إثبات للذات

الإنسانية من واقع الفراغ، لأن الحب بأهم معانيه هو إثبات للذات الإنسانية. والجاهلية فى أبرز صفاتها هي واقع فراغ فكري ووجداني.

وخطورة إثبات الذات من واقع الفراغ على الإنسان تأتي باعتبارها استهلاكاً للخصائص الطبيعية في الإنسان، والتي تحقق فيه إمكانية تحمل تكاليف الرسالة، وهي إمكانية قائمة في كل إنسان ؛ حيث إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بتلك الخصائص كي يكون صاحب رسالة.

ودلائل هذه الإمكانيات هي :
القدرة على الحياة بقضية الرسالة، وتصور الوجود من خلال تلك القضية. والقدرة على مواجهة أي واقع مخالف لهذا التصور.

وعندما يحب الإنسان الجاهلي من الفراغ، فإنه بهذا الحب ينطلق نحو من أحبها بخصائص الرسالة الكامنة فيه لأنه يعيش بلا قضية.
فتتحول تلك التي أحبها إلي قضيته التي يحيا بها ويتصور الحياة من خلالها، ويسعى إلى الارتباط بها محطماً في سبيل ذلك أي عقبة. وآثار الحب في الواقع الجاهلي هي الدليل على هذه الظاهرة ؛ فعندما يمارس الجاهلي حباً فإنه يحب إلي حد العبودية.
****

8- الفاعلية القدرية الاستثنائية :

الرؤى:

فما هي الرؤية في التصور الإسلامي الصحيح ...

الرؤية : إما رؤية من الرحمن ..

أو حلم من الشيطان ..

أو حديث نفس ..

هذا ما قاله ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه .

والرؤيا انتقال روحي إلي المرحلة الشعورية ...

ولذلك جاء التعبير عنها إما بالقول : رأيت أو شعرت .

ومن هنا كان جزاء الذي يختلق رؤيا بالعقد بين شعرتين .

وذلك بمناسبة ارتباط الرؤى بالألفاظ . فمناسبة قولك : شعرت أو رأيت يكلف بالعقد بين شعرتين لأنه ادعي أمرا لم يكن ، فكان جزاءه التكليف بأمر لن يكون .

ورؤيا الرحمن : تصور ملائكي للإنسان لتفسير معاني خبرية .. من خلال الرمزية أو من خلال الألفاظ من حيث حروفها لا من حيث حقيقتها ..

ولما كانت الرؤيا من الله وحيا ...

ولما كانت الرؤيا تختص بالمعاني وصورتها الكونية ...

كانت الرؤيا أقرب ما تكون إلى الناموس .

ولما كان الناموس هو النظام الجامع بين الخلق و الأمر أو بين الطليعة و الشريعة ... أو بين الكون و الدين ، كان الناموس هو أساس تفسير الرؤى .. و تفسير الرؤيا بحسب الاشتقاق فلو أن رجلاً رأى أنه يأكل سفرجلاً فقال له المعبر: تسافر سفراً عظيماً لأن أول جزء السفرجل سفر ورأى آخر أن رجلاً أعطاه غصن سوسن فقال: يصيبك من المعطي سوء سنة لأن السوء يدل على الشدة والسنة اسم للعام التام لكن التعبير بحسب

الاشتقاق للألفاظ العربية إنما هو للعرب وغيرهم إنما ينظر إلى اللفظ في لغتهم.
واعلم أن المنام الواحد يعتبر فيه اللفظ الذي يقوله صاحب الرؤيا فتارة يقول تزوجت وتارة يقول نكحت فربما [ص 360] يختلف تأويله ولهذا ذكرنا الزواج في حرف الزاي ثم ذكرنا النكاح في حرف النون وهكذا أمثال ذلك فيعتبر لفظ الرائي وما يقوله ويجري الاشتقاق وغيره عليه وإن كان المعنى واحداً والمنام يختلف باختلاف لغتين كالسفرجل عز وجمال وراحة لمن يعرف لغة الفرس لأنه بلغتهم بهاء وهو للعرب ولمن عاشرهم دال على السفر والجلاء لاشتقاقه ويختلف باختلاف الزمان فالاصطلاء بالنار والتدفي بالشمس وملابس الشتاء واستعمال الماء الحار ونحوه لمن مرضه بالبرودة أو في الزمان البارد خير وفرج وراحة وذلك في الصيف أمراض أو نكد كما أن [ص 361] استعمال الرفيع من القماش أو الماء البارد ونحوه في الصيف راحة وفائدة وفي الشتاء عكسه ويخلف باختلاف الصنائع فإن لبس السلاح أو العدد للجندي البطال خدمة وللمقاتل نصر وللرجل العابد بطلان عبادته ولغيرهم فتنة وخصومة.

الفراسة والالهام :

قال الشافعى فى تعريف الفراسة هى: المهارة في تعرُّف بواطن الأمور من ظواهرها.و استدل بقوله : "اتَّقُوا فِرَاسَة المؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللّه"[1].

الفراسة هى أول خاطر بلا معارض فإن عارضه معارض آخر من جنسه فهو خاطر و حديث نفس و

(1) [ضعيف] أخرجه الترمذي في (التفسير /بـ من سورة الحجر / 3127) من حديث أبي سعيد الخدري .

هى خاطر يهجم على القلب فينفى ما يضاده و يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة و لكن الفريسة فعيلة و الفراسة على وزن الإمارة و هى على حسب الإيمان.
هي نور الله في قلب العبد و دليله قول الله تعالى أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ و هذا النور يكون بقدر الإيمان و مقتضياته المتعلقة بالفراسة و هي :
الربانية
و فيها يقول ابن القيم :" من غض بصره عن المحارم ، و أمسك نفسه عن الشهوات ، و عمر باطنه بالمراقبة و ظاهره باتباع السنة و تعود أكل الحلال ... لم تخطئ فراسته ".
الصدق
و فيه يقول ابن القيم : " إذا جلستم إلى أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإن الصديق لا تخطئ فراسته " و الفراسة باعتبار الصدق تماثل الرؤى لقوله " أصدقكم رؤية أصدقكم حديثاً ".
غير أن هناك أمر يتعلق بالفراسة و هو التجربة فإن فراسة العبد مبنية على درايته بالواقع و هذه حادثة الأعرابى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها مسرورا يبرق وجهه : ألم تسمعي ما قال محرز المدلجي لما رأى أسامة وزيدا نائمين في ثوب واحد أو في قطيفة قد غطيا رؤسهما وبدت أقدامهما فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض.
و الفراسة علممن العلوم الطبيعية

و تعُرف منه أخلاق الناس من أحوالهم الظاهرة من الألوان والأشكال والأعضاء وبالجملة الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن.
وموضوعه ومنفعته ظاهران.
وكفى بهذا العلم شرفا قوله تعالى: (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) وقوله سبحانه: (تعرفهم بسيماهم) وقوله صلى الله عليه وسلم: (كان فيمن كان قبلكم من الأمم المحدثون وإنه لو كان في أمتي لكان عمر [1]).

والمحدث المصيب في ظنه وفراسته ، وهذا العلم نافع للملوك والصعاليك في اختيار الزوج والصديق والمماليك، إلى غير ذلك ولا بد للإنسان من ذلك العلم لأنه مدني الطبع محتاج إلى معرفة الضار من النافع ...
عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم" رواه البزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن.
ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه اللّه رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر) يعني أن ما أضمره يظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه وقد أخبر اللّه في التنزيل بأن ذلك قد يظهر في الوجه فقال {ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول} وظهور ما في الباطن على اللسان أعظم من ظهوره في الوجه لكنه يبدو في الوجه بدواً خفياً فإذا صار خلقاً ظهر لأهل الفراسة والنهى.
ولا تصح مثل تلك الفراسة إلا للمؤمن الكامل، أما المقصر فقد يلقي الشيطان إلى مخيلته، فيظن

---

(1) [صحيح] أخرجه البخاري في (المناقب /بـ مناقب عمر / 3689) من حديث أبي هريرة .

أنه يرى تلك "الصور" على وجوه الناس. نسأل الله أن يحفظنا من العجب ومن سوء الظن بالمسلمين، آمين .
الإلهام : وهو الاكتشاف و الاختراع
وأساس الإرادة في الاكتشاف هي الاعتقاد، و المسلمون هم أولى الناس بالإدراك الكوني؛ لأنهم يملكون التصور الصحيح عن هذا الكون، و المسلمون هم أقرب البشر إلى الطبيعة الكونية، و العلاقة بين المسلم والوجود الكوني هي العلاقة الحية بين الإنسان والكون.
ويكشف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه العلاقة الحية بقوله في جبل أحُد (هذا الجبل يحُبنا ونحبه .
وكان يقول : إن هناك حجر كان يسُلم علي قبل أن أبُعث وأنا أعرفه الآن
ولما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم جزع النخل الذي كان يخطب عليه قبل أن يصُنع له منبر سمع للجزع أنين ولم يسكت حتى نزل الرسول صلى الله عليه وسلم واحتضنه .
إن الإحساس الشرعي بالطبيعة هو الذي يعطي الإنسان المسلم إمكانية الكشف
الكوني ..
من خلال والإدراك الصحيح و التعامل الصحيح مع الطبيعة .

الجانب الثالث : الإيمان بالغيب
لقد تقرر وجوب التحليل النفسي في إطار المصطلحات الشرعية من خلال كل جوانب المصطلح .

1- المصطلح الأول:-

كان الإيمان بالغيب هو أهم جوانب مصطلح (الإيمان)

والغيب في إطار التحليل النفسي له ثلاث ركائز :
1- الإيمان بالملائكة.
2- الإيمان بالجن.
3- الإيمان بالساعة وعلاماتها.

وقضية الإيمان بالغيب مجال أوسع من هذه القضايا المحددة ولكن الكلام عنها جاء باعتبارها أكبر تأثيراً في السلوك الإنساني وباعتبارها ركائز في هذا المجال الاوسع.

ـ الملائكة :

و اعتبار الملائكة في الدراسة النفسية ينبه إلي التوافق بين الطبيعة الانسانيه السوية و الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم (إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن أدم)[1]

و لقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من خصائص التوافق الطبيعي تحديدا خلق الحياء . فيبين إن الملائكة تتميز أخلاقيا بالحياء .

حتى إن خديجه علمت أن الذي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الرسالة كان ملكا فقالت للرسول صلى الله عليه وسلم تهيأ كأنك تريد الجماع فانظر هل تراه فقال لا : فقالت انه ملك لأنها علمت إن الملائكة تستحي أن ترى هذا الأمر بين الزوج والزوجه .

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين أن الملائكية معيارا للسلوك الإنساني الصحيح

فيقول :(لو أنكم كما تكونون معي لصافحتكم الملائكة في الطرقات) وكما كانت الملائكية معيارا للسلوك الإنساني السوي فان السلوك الإنساني بدوره كان مؤثراً في أخلاق الملائكة .

---

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (المساجد / 564) من حديث جابر .

حتى أن الملائكة كانت تستحي من عثمان بن عفان تأثرا بأخلاقه . حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عثمان (ألا استحى من رجل تستحي منه الملائكة)[2] .

ولا يمكن تخيل دراسة إسلامية في النفس لا يذكر فيها أمر الملائكة؛ فالملائكة بالنسبة للإنسان ، أثر غير المحدود فى الانسان يجعلنا نشعر وكأنها خلقت من أجله.
فهي مع الإنسان في كل لحظات وجوده.
منذ الالتقاء الأول بين الأب والأم..

ففي الحديث المتفق عليه : " إن الله وكل بالرحم ملكاً؛ فيقول : أي رب نطفة. أي رب علقة. أي رب مضغة. فإذا أراد الله أن يقضي خلقاً قال قال الملك : أي رب ذكر أو أنثى ؟ شقي أو سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه "[1].

و إذا اتفقنا علي حقيقة الفاعلية الإنسانية من خلال فاعلية القدريه فإننا نضيف إلى هذه الفاعليه مايمكن أن نسميه : التأثير الملائكى ، وله مجالاته الاساسيه. وأهمها :

ـ الطمأنينه بالسكينه : التثبيت القلبى كما قال الله فى غزوه بدر (أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)(سورة الأنفال : 12) .

ـ الإبداع الطيب، سواء كان فهماً عقلياً أو اكتشافاً علمياً.

ـ التأييد بالالهام ودليله قول رسول الله لحسان بن ثابت :

---

(2) [صحيح] أخرجه مسلم في (فضائل الصحابة / بـ فضائل عثمان / 2401) من حديث عائشة .

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء / 3333) ، ومسلم في (القدر / بـ كيفية خلق الآدمي / 2646) من حديث أنس .

" اهجهم وروح القدس يؤيدك "[2]. ودليله قول ابن عباس : " أعانك عليها ملك

كريم ". وذلك في فهم أية من القرآن .

وفى النهايه ... تثبت الدراسه الاسلاميه للنفس انها لا تكون كامله الا بدراسه العلاقه بين الانسان و الملائكه .

كما لا تكون كامله بغير قول الله عز وجل (ان كل نفس لما عليها حافظ) حيث يتبين من الايه ان الملائكه أكبر قوة خارجيه مؤثره فى ابعد أعماق الكيان الانسانى.

ـ الرؤيه : وهي تصوير ملائكي للمعاني في نفس من يراها .

وكما كانت الطبيعه الملائكيه معيارا للنفس السويه .. كان الشيطان مقياسا للنفس المريضه .

ـ الشيطان والنفس الإنسانية :

و يدفعنا التأثير الشيطاني في النفس الإنسانية إلى دراسة مصدر التأثير وهو الشيطان نفسه. وهذه القضية بصفة عامة سبق طرحها بصورة مناسبة (يراجع كتاب عندما ترعي الذئاب الغنم الجزء الأول) ولكن ما نعنيه بالدراسة في هذا الموضع هو التكوين النفسي للشيطان باعتبار أن هذا التكوين لابد أن يمثل التأثير المباشر على الإنسان.

وأصحاب الدراسات غير الإسلامية للنفس ينكرون وجود الجن أصلاً وذلك في إطار إنكار أصل الدين في علم النفس.

---

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (بدء الخلق / بـ ذكر الملائكة / 3213) ، ومسلم في (فضائل الصحابة / بـ فضائل حسان / 2486) من حديث البراء بن عازب .

وكما يؤكد أصحاب الدراسات الإسلامية أصل الدين في إنشاء علم النفس فإنهم يؤكدون أيضاً ويثبتون أثر الشيطان في النفس.. وبالتالي حقيقة الشيطان في الدراسة النفسية.
والتصور المبدأي للدراسة يثبت هذا التأثير..
خلق الجان من مارج من نار..

وقاعدة الارتباط بين الخلق ومادة الخلق المنطبقة على الإنسان تنطبق على الجن أيضاً والانعكاس المباشر لهذه القاعدة في طبيعة الجن، مثاله :
أ- الحركة السريعة.. التي يؤثر بها على الإنسان ليكون أثرها الاضطراب الناشيء من الخضوع لحركة زائدة وسريعة تختلف مع طبيعته.
ب- الحرارة الناتجة عن النار والتي يؤثر بها على الإنسان ليكون أثرها الغضب الذي تنتفخ له الأوداج ويحمر بها الوجه. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ، فإن الماء يطفئ النار "[1].
وعندما امتنع إبليس عن السجود لآدم إنما امتنع بصفات نفسية وهي : الكبر والحسد.

ولما عوقب إبليس بعد الامتناع عن السجود بالأبلسة.. كانت عناصرها التي أصيب بها من أخطر العناصر النفسية وهي : الحزن – اليأس - الخوف - والندم.

ومجموع هذه الصفات الناشئة عن مادة الخلق والتي فعل بها المعصية والصفات الواقعة بعد المعصية، تمثل أخطر تأثيرات الشيطان النفسية في الإنسان. حيث كان هذا التقارب أساسا للحجيه القرآنيه على الجن والإنس، لأنه كلفهما جميعاً كما

---

(1) [ضعيف] أخرجه أبو داود في (الأدب / بـ ما يقال عند الغضب / 4787) عروة بن محمد عن أبيه عن جده ، وضعفه الشيخ الألباني في (الضعيفة / ج 2 / ص 51 / ح 582) .

قال الله سبحانه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ (الأحقاف : 29).
حيث تثبت الايه وحده الحجيه القرآنية القائمة علي الإنس و الجن بمقتضى هذا التقارب الشديد بين التكوين النفسي للجن والإنسان..
والذي كان أساسا لا يقافهما معا على قاعدة التكليف بالدين ..

بما تتضمن من أحكام حفظ النفس، وأحكام شرعية ذات مضمون نفسي ونصوص شرعية نفسية مباشرة..
و كذلك حجية النبوة البشرية على الجن باعتبار أن القاعدة في هذه الحجية هي التوافق بين النبي وقومه المبعوث لهم، من حيث اللسان واللغة والفهم والاستيعاب.
ومن حيث العادات والتقاليد وطبيعة اجتماعية لأن هذا التوافق هو أساس هذه الحجية.

و قد كان هذا التقارب بين الجن والانسان أكبر إمكانيات التأثير في الإنسان .
ومن مجموع هذه الإمكانيات الشيطانية استطاع الشيطان أن يصل بالإنسان إلى مرحلة الضلال البعيد.. قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾.

ومن الآية يتضح أن هدف الشيطان ليس الكفر المجرد الذي من المحتمل أن يعود الإنسان بعده إلى الهدى، وإنما الهدف هو : " الضلال البعيد "... الذي لا يعود الإنسان إلى ربه بعده أبداً إلا أن يشاء الله عز وجل. ويتحقق هذا الضلال بعد عدة خطوات.
- فقد الأصالة الإنسانية.

- والصفة الإنسانية. وبذلك يصبح الإنسان ممسوخاً مسخاً جوهرياً، ولا يستطيع العودة إلى الهدى مرة أخرى.

والأصالة الإنسانية هي معدن الإنسان نفسه. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الناس معادن "[1].

ويقول أيضاً : " خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا "[2].

وقياساً على ذلك تكون جميع المخدرات مثل الهيروين التي ينعدم معها إمكانية الالتزام بالإسلام بل تذهب معها الأصالة الإنسانية وتتبدد، وتتوه الصفة الإنسانية ويصبح الإنسان في حكم الممسوخ وإن ظلت صورته آدمية.

3- الساعة وعلامات الساعة :

وهي الجانب الثالث في مصطلح (الإيمان)

ولهذا الجانب تفسير نفسي هام :

فالإنسان دليل على الساعة من حيث خلقته وطبيعته، ولابد أن يمتد الاستدلال بالإنسان على الساعة من خلال علاماتها أيضاً، فيصبح الإنسان في زمن كل علامة دليلاً قائماً على الساعة. وذلك بتغير أحواله ليتوافق مع مقتضيات النهاية الكونية.

والمضمون الإنساني للعلامات له مستويان :
- المستوى الذاتي الفردى.
- المستوى البشري الأممى.

المستوى الذاتي الفردي :

---

(1) متفق عليه. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِحَدِيثٍ يَرْفَعُهُ قَالَ النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ خِيَارُهُمْ فِي الجاهلية خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إذا فَقُهُوا وَالأرواح جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ.

(2) [صحيح] أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء / 3353) من حديث أبي هريرة .

وهو أن نعلم أن الإنسان ذاته دليل جوهري على القيامة، فمن حيث خلقته أصلاً في بطن أمه؛ يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ (المؤمنون 15:12).

ويوافق الآية في معناها قول رسول الله ﷺ : " إِنَّ أحدكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهل النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهل الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهل الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهل النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ" [1].

حيث جمع الحديث بين الإنسان بنوعه وعمله وبين مصيره عند الله يوم القيامة.

ومن حيث طبيعته، قال الله تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة:2:1).

لأن النفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها بطبيعتها. وهذا يعني وجود أصل الحساب على الأعمال التي سيكون عليها يوم القيامة.

إن المضمون الإنساني للساعة هو الذي يفسر ظاهرة (الضمير) أو النفس اللوامة لأن هذه الظاهرة دليل على الحساب.

---

(1) متفق عليه.

وإيمان الإنسان بالحساب مسألة تكوينية نفسية، لأن الضمير كذلك ظاهرة تكوينية نفسية..

ومن حيث رده إلى أرذل العمر لتكون نهاية الكيان الإنساني كله ليكون ذلك دليلاً على نهاية الوجود الإنساني كله.

 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (الحج:5).

وبهذا الاعتبار تكون الساعة هي نهاية الخلق عامة، والإنسان خاصة.

ولكن مانعنيه بالمضمون الإنساني للعلامات ارتباطها بألصق وأعمق الصفات والخصائص الإنسانية ولتوضيح هذا المفهوم، نضرب في البداية مثالين :

الأمانة ...

والعلم ...

أما دليل جوهرية الأمانة والعلم بالنسبة للإنسان فهو أسلوب رفعهما.

ففي رفع الأمانة قال رسول الله : " ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى في أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً ليس فيه أى شيء، يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل : ما أعقله وما

أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان " [1].

والملاحظة المنهجية في الحديث هي أن الأمانة لا تقبض من قلب الرجل إلا وهو نائم، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ينام الرجل النومة.."، " ثم ينام النومة " وقد سبق القول أن تفسير هذه الملاحظة يرجع إلى حقيقتين : حقيقة الأمانة ... وحقيقة مكانها في الإنسان ...

أما حقيقة الأمانة فهي التكليف، كما قال ابن عباس، وفسر ذلك بقوله : " إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت "

والنوم هو الحال الذي يرفع فيه التكليف فيناسب ذلك قبض الأمانة؛ لأنها أصل التكليف فيناسب قبضها حال رفع التكليف.

وأما حقيقة مكانها؛ فهو جذر قلوب الرجال (أى أصل قلوب الرجال).
والنوم هو الحال الذي ينام فيه القلب، لأن الذي لا ينام قلبه إذا نام؛ هم الأنبياء فقط فيناسب حال نوم القلب أن ترفع الأمانة من أصله.

وكما كان رفع الأمانة دليلاً على جوهرية المضمون الإنساني لعلامات الساعة فهناك رفع العلم وهو لا يختلف عن الأمانة في رفعها، وفي ذلك يقول : "إِنّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ النّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إذا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلّوا وَأَضَلّوا "[1]. ذلك لأن العلم الشرعي علم بالوحي، والوحي روح من الله وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا

---

(1) متفق عليه.
(1) متفق عليه.

الْإيمان وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (الشورى: 52).

ولذلك ناسب أن يكون رفع العلم بانتزاع الروح والموت، وبذلك تأكد المضمون الإنساني في صيغة العلم والأمانة. واختيار مثل الأمانة والعلم في ثبات المضمون الإنساني للعلامات ليس فقط لأن الأمانة والعلم ألصق الصفات وأعمقها في كيان الإنسان بل لأن رفعهما – في نفس الوقت – بداية لرفع الدين والكون؛ فرفع الأمانة بداية الأحكام.

بدليل قول رسول الله : " أول ما يرفع من دينكم الأمانة وآخر ما يرفع من دينكم الصلاة "[1]. ورفع العلم بداية رفع واقع الدين والكون، وكما قال : " يرفع العلم منكم ويكثر الجهل ويفشو الزنى وتكثر الزلازل "[2].. حتى تكون الساعة الزلزال الأكبر.
إن الارتباط بين الساعة وعلاماتها وبين الإنسان ارتباط غاية في الدقة.

ولعل ذلك يتضح من خلال قول رسول الله في الساعة : " تأتي ريح لينة من قبل اليمن... ".

إن الحديث يربط بين الريح التي ستأتي في آخر الزمان لتأخذ كل نفس مؤمنة، وبين اليمن.. لأن رسول الله ذكر اليمن بالاسم وأهل اليمن، ولم يقل ريح تأتي من الجنوب.
يعني بذلك الانتباه إلى اليمن وأهلها وهم الذين قال فيهم رسول الله :
" أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً "[3].

---

(1) يروى عن ابن مسعود كما في (المجمع / 7 / 329)
(2) [صحيح] أخرجه البخاري في (الجمعة / بـ ما قيل في الزلازل / 1036) من حديث أبي هريرة .

وهكذا جاءت الريح اللينة من عند أصحاب القلوب اللينة.

المستوى البشري الأممي :

ومن هنا كانت الطبيعه الانسانيه معيارا هاما للساعه ..

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثه من علامات الساعه

شح مطاع .

وهوى متبع .

و إعجاب كل ذى رأي رأيه .

والصيغة المقدرة للوجود البشري بصورته الصحيحة هي الأمة الواحدة التي تعبد رباً واحداً.. وهذه الصيغة هي ضمان الوجود البشري حتى قيام الساعة.

ولما كانت العلامات هي مقدمة بين يدي الساعة. فإن اعتبار هذه الصيغة القدرية للوجود البشري لابد أن يكون قائماً بصورة واضحة حتى هذه المرحلة.

ويستدل لذلك بقوله في الصحيح، من حديث المغيرة بن شعبة : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون "[1] وفي رواية : " حتى تقوم الساعة"، وفي رواية معاوية في الصحيح أيضاً بلفظ : " ولن

---

(3) [صحيح] أخرجه البخاري في (المغازي / بـ قدوم الأشعريين / 4338) من حديث أبي هريرة .

(1) متفق عليه.

يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة. أو حتى يأتي أمر الله ".
وله شواهد عند مسلم من حديث جابر بن سمرة وعقبة بن عامر.
وأيضاً لابد أن يكون مفهوماً أن الساعة هي انهيار الوجود البشري. وأن الأمة هي الصيغة المقدرة لهذا الوجود.

ولذا فإن مفهوم الأمة سيبقى معنا في قضية العلامات وذلك باعتبار أن هذه العلامات هي مقدمة انهيار هذا الوجود، لكنه عند قيام الساعة ذاتها.
والأمة عرق الدين..
ولذلك سيشارك حقيقة العرق والدين حقيقة الأمة في تحليل العلامات، والخط الأول الذي سنتابع به حقيقة الأمة هو تحديد الأمم التي ستدخل مجال العلامات.
ونجدها اليهودية والنصرانية والإسلام ...
ونجد أن عرق اليهود بنو إسحاق ...
وعرق النصارى الروم بنو الأصغر ...
وعرق الإسلام العرب بنو إسماعيل ...

الحقيقة الجامعة : التي تجمع بين الأمم الثلاث (الدور الإيجابي).

الحقيقة الفاصلة : التي تفصل بين الأمم الثلاث (حقائق الصراع).

ومثال الحقائق الثابتة :

- الافتراق : كما قال رسول الله : [افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفَرَّقَتْ

النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً] [1].

- التقليد : كما قال رسول الله : [لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ آلْيَهُودَ

وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ][1].

ومثال الحقائق الجامعة هو :
بقاء هذه الأمم الثلاث حتى آخر العلامات؛ بدليل أن الدين لن يكون ملة واحدة إلا على يد عيسى عليه السلام.

---

(1) [صحيح لغيره] أخرجه أبو داود في (السنة / بـ شرح السنة / ح 4596) ، والترمذي في (الإيمان / بـ ما جاء في افتراق هذه الأمة / ح 2640) ، وابن ماجة في (الفتن / بـ افتراق الأمم / ح 3991) ، وأحمد في " مسنده " (2 / 128) دون ذكر النصارى ، والحاكم في " المستدرك " (1 / 6) ، وأبن أبي عاصم في " السنة " (1 / 33) ، والمروزي في " السنة " صـ 17 ، وابن بطة في " الإبانة الكبرى " (1 / 228) ، والآجري في " الشريعة " صـ 15 .
ومدارهم جميعاً على : محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة .
ومحمد بن عمرو : هو ابن علقمه بن أبي وقاص الليثي : قال أبو حاتم : " صالح الحديث " يُكتب حديثه ، وهو شيخ " ، وقال النسائي : " ليس به بأس " ، وقال مرة : " ثقة " ، وتكلم فيه ابن معين ، والجورزاني ن وقال الذهبي : " شيخ مشهور حسن الحديث " ، وقال الحافظ ابن حجر : ط صدوق له أوهام " .
انظر " تهذيب التهذيب " (9 / 375) ، و " الجرح والتعديل " (8 / 31) ، و" الميزان " (3 / 673) ، و" التقريب " (2 / 196)
أما أبو سلمة فهو ابن عبد الرحمن بن عوف ثقة مُكْثِر .
انظر " التهذيب " (12 / 115) ، و" التقريب " (2 / 430) .
فالحديث بهذا الإسناد حسن لحال محمد بن عمرو ، ولكنه صحيح لشواهده ، وقد صححه الترمذي ، والحاكم ، وابن حبان ، والشاطبي في "الاعتصام " (2 / 189) ، والسيوطي في "الجامع الصغير " (2 / 20) – المطبوع مع فيض القدير .
(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الاعتصاد بالكتاب والسنة / بـ قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن ... / ح 7320) ، ومسلم في (العلم / بـ اتباع سنن اليهود والتصارى / ح 2669) من حديث أبي سعيد الخدري .

فمن حيث العرق فإن آخر آثار إسحاق هم السبعون ألفاً الذين سيغزون القسطنطينية.
أما نهاية صيغة الأمة فإن اليهود سيبقون عليها حتى يقاتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم. أما أمة النصارى باعتبار عرقها فإنها ستبقى مع أمة النبي :
" ستقوم الساعة ويكون الروم أكثر عدداً، أشد الناس عليكم الروم ومهلكهم مع الساعة ". رواه أحمد. وعنده أيضاً : [تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ][2].

ومفهوم العرق في إطار العلامات لا ينتهي عند هذا الحد. بل سيكون له نطاق أوسع حيث يشمل علامة الدجال ويأجوج ومأجوج؛ لأن الدجال ذكر كعرق مقابل للعرب، وذلك باعتبار انتسابه إلى اليهودية.

أما الحقيقة الجامعة للمضمون الإنساني لعلامات الساعة بالمستوى الذاتي الفردي والبشرى والأممي معاً فهي :
حقيقة العبادة..
ذلك أن العبادة وهي أساس الذات، وهي كذلك شرط في قيام الأمة، وهي المستوى الأممي.
ودليل المعنى الأول هو قول الله عز وجل " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (الذريات:56).

ودليل المعنى الثاني هو : إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدة وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ
(الأنبياء:92). ولذلك قال الإمام القرطبى في إثبات العلاقة بين العبادة والسعادة :

(2) [صحيح] أخرجه مسلم في (الفتن وأشراط الساعة / بـ تقوم الساعة والروم أكثر الناس / ح 2898) من حديث عمرو بن العاص .

ولما كانت العبادة هي علة الخلق كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذريات:56) كانت هي علة الوجود وأصبحت كذلك هي الصفة المرجحة للخير والتي تضمن بقاءه.

فإذا قطع التعبد لم يقرها بعد ذلك في الأرض زمناً طويلاً

ولما كان الإسلام لله بكامل الإرادة و الحرية .. أصبح أي سلوك إنساني ناشئ عن الإسلام له دلاله هذه الإرادة و تلك الحرية ...

2- المصطلح الثاني :

الدلالة السلوكية :

وقد نشأ مصطلح الدلالة السلوكية من معنى الإسلام في قول الله عز وجل :" ومن يسلم وجهه لله " وذلك لأن الدين باعتباره نظاماً للسلوك البشري فإنه لم يخرج عن معنى الإسلام في دلالته السلوكية وهي المأخوذة من إسلام الوجه لله، إذ ليس المقصود الحركة الحسية للوجه، ولكن المقصود هو الدلالة السلوكية الناشئة عن التوجه لله سبحانه وتعالى. ومن هنا يمكن تحليل السلوك الإنساني بدلالته في إطار مصطلح الإسلام.

وكلمة الإسلام تعني تسليم الإرادة لله بمطلق إرادة العبد وهذا معنى قول الله عز وجل: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 256).

فعندما يدرك العبد طبيعة هذا الدين فإنه يدخل الإسلام بمطلق إرادته، وهذا الذي أدركه ثمامة عندما وقع أسيراً، فربطوه في سارية المسجد وكان رسول الله يمر عليه ويقول له : ما قولك يا ثمامة ؟. فيقول : إن تقتل تقتل ذو دم وإن تعفو تعفو عن كريم. فتركه ومر عليه أخرى، فرد بنفس القول، فمر عليه الثالثة، فقال : إن تعفو تعفو عن كريم، ولم يذكر الدم. فأطلقه رسول الله ، فذهب واغتسل وعاد إلى رسول الله يشهد الشهادتين.[1]
والملاحظة المقصودة من الحديث أن ثمامة لم يشأ أن يدخل في الإسلام وهو أسير.

ولكن الإنسان بحبه لنفسه وبحب نفسه لذاته يكره بطبيعته تسليم إرادته , فيقدر الإسلام هذا الإحساس فيطلب الرسول البيعة على الإسلام من رجل فيقول له : ولكني أكره ذلك، فيقول الرسول : أسلم وإن كنت كارهاً، فيتجاوز الرسول بالرجل حالة كراهية تسليم الإرادة ولكن دون إكراه، لأن الرسول طلب من الرجل الدخول في الإسلام دون تخويف أو تهديد.

وبذلك يعطي معني الاسلام بارادة الانسان وحريته .. لكل سلوك انساني يمارس في اطار هذا الدين المعني الحقيقي الكامل للدلاله علي هذا السلوك ..

ولا يتنافي مع الاراده والحريه . الالتزام بأحكام الاسلام التي قد تجد فيها النفس كراهه طبيعيه

، ولا يمنع ذلك من الالتزام بها، ولذلك يقول ابن القيم في تفسير الآيات :

---

(1) [متفق عليه] اخرجه البخاري في (المغازي / بـ وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال / ح 4372) ، ومسلم في (الجهاد والسير / بـ ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه / ح 1764) من حديث أبي هريرة .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 216)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (النساء:19).

فالآية الأولى في الجهاد الذي هو كمال القوة الغضبية، والثانية في النكاح الذي هو كمال القوة الشهوانية، فالعبد يكره مواجهة عدوه بقوته الغضبية خشية على نفسه من المكروه , وهذا المكروه خير له في معاشه ومعاده. ويحب الموادعة والمتاركة، وهذا المحبوب شر له في معاشه ومعاده. وكذلك يكره المرأة لوصف من أوصافها، وله في إمساكها خير كبير لا يعرفه، ويحب المرأة لوصف من أوصفها، وله في إمساكها شر كبير لا يعرفه. فالإنسان كما وصفه به خالقه (ظلوم جهول).

فلا ينبغي أن يجعل المعيار على ما يضره وينفعه ميله وحبه , ونفرته وبغضه , بل المعيار على ذلك ما اختاره له بأمره ونهيه.

ولما كان المعنى العام للعبودية مستوعباً لحياة الإنسان؛ كان كل سلوك صادر عن الإنسان في حياته له دلالته. وأن أي سلوك ناقض لهذا التفسير لن يكون له دلالة إلا الكفر أو الفسوق أو المعصية.

من هنا نشأ في المقابل؛ السلوك الدال على هذه الصفات. وبذلك أصبح السلوك الإنساني بطبيعته محكوماً عليه إما بالدلالة على الإيمان أو ما يخالفه،

ومن هذه الحقيقة أصبح أي سلوك صادر عن الإنسان له دلالته ومعناه.

و الصلاة أهم مجال سلوكي لإبراز معنى الدلالة السلوكية , ابتداء من التوجة للقبلة، وانتهاء بالتسليم، مروراً بالقيام والركوع والسجود. ولذلك كانت الصلاة في نفس الوقت هي معيار الشخصية (كما سيأتي).

وبهذا المعنى يمكن تحليل السلوكيات الأساسية للإنسان ومنها المصافحة الدالة على التوافق والحب. ولذلك لزم أن ينظر الرجل إلى من يصافحه لإثبات هذه الدلالة. وأي مصافحة لا يتوافق معها حركة الوجه لا تكون مصافحة حقيقية، وتكون عملاً فاقداً دلالته.

ومن هنا كانت البيعة على الإسلام بالمصافحة للدلالة على الموافقة على المنهج والسبيل الذي سيسير عليه مع من يبايعه. ولذلك ربط رسول الله عند البيعة بين المصافحة وثمرة الفؤاد في الحديث الذي رواه مسلم وغيره : [.. وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ..][1].

وتقابل هذه الدلالة من حيث حركة الجسد؛ الإعراض بالوجه. ويماثل المصافحه في الدلاله ... التقبيل , وهو اللفظ المشتق من القبول , وهي التعبير بالفم , وهذا التعبير يشغل مساحة كبيرة في السلوك الإنساني. ولذلك كان البصق له دلالة معاكسة وهو الرفض.

ومن مصطلح الاسلام و دلالته علي السلوك الانساني تبينت العلاقة بين مفهوم الالتزام و

---

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (الإمارة / بـ وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول / ح 1844) من حديث عبد الله بن عمرو .

الطبيعه الانسانيه ... و لكن مصطلح الشريعه هو الذي يفسر حقيقه هذه العلاقة

وبناءً على الدلالة السلوكية جاء القرآن لتثبيت الدلالات المعنوية مع الحركة الحسية المعبرة عنها في مثل قوله سبحانه للدلالة على الإعراض : ﴿ وَإِذا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً ﴾ (الإسراء : 83). ﴿ وَإِذا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ (فصلت:51).

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذا مَسَّ الإنسان الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إلى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (يونس:12).

وبنفس معني العلاقة بين السلوك ودلالته من حيث الإسلام أو الأعراض تتدرج أحكام الشريعة كلها ... حتى أصبح مصطلح الشريعة من أقوى المصطلحات الداله علي المعني الإنساني إبتداء من التعريف اللغوي للشريعة

3- المصطلح الثالث :

فالشريعة لغة : معناها مورد الماء الذي يرده الأحياء للشرب.
ومن التفسير يتضح معنى الضرورة الإنسانية للشريعة..

وتبدأ الطبيعة الإنسانية للإسلام في الظهور مع البداية الأساسية للشريعة في صيغة الأحكام الخمسة التي تندرج تحتها جميع الأحكام الشرعية وهي :

(حفظ الدين - حفظ النفس - حفظ العقل - حفظ المال - حفظ العِرض).

وهذه الأحكام الخمسة بصفتها الشرعية الحاكمة وغايتها الإنسانية النهائية هي الدليل الأساسي على هذه الطبيعة، ولكن هذه الأحكام لا تدل فقط على الطبيعة الإنسانية للإسلام، بل إنها تحدد المنطلق الصحيح للدراسة النفسية الإسلامية وهو منطلق الحفظ، وهو المنطلق الذي يعاكسه تماماً تلك الدراسات الخبيثة للنفس والتي تنطلق من الضعف والعيوب والأمراض الإنسانية.

ثم تأتي إنسانية الأحكام الشرعية في التعامل مع الإنسان بصورة مباشرة.

إن التعامل مع الإنسان من الناحية الشرعية لتحقيق الالتزام يقوم أساساً على المتابعة الدقيقة للتحول السلوكي من حالة ما قبل الطاعة، إلى الطاعة، إلى ما بعد الطاعة.
إن السلوك الشرعي والطبيعي يقوم على التناسب النفسي مع التكليف، ولذلك كان من سنة رسول الله قبل الأمر الطاعة أن يهيئ الإنسان لهذه الطاعة.
مثل كثرة الصيام في شعبان[1] تهيئةً لشهر رمضان.
مثل ركعتين خفيفتين قبل صلاة التهجد[2].

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الصوم / بـ صوم شعبان / ح 1969) ن ومسلم في (الصيام / بـ صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير ... / ح 1156) من حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ] .

(2) [صحيح] أخرجه مسلم في (صلاة المسافرين وقصرها / بـ الدعاء في صلاة الليل وقيامة / ح 765) من حديث زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: [لَأَرْمُقَنَّ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّيْلَةَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ أَوْتَرَ فَذَلِكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً] ، وانظر فصل " الكيفيات لتي صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الليل والوتر " من رسالة صلاة التراويح صـ 86 - 98 للشيخ الألباني .

وكان من نماذج الأحكام الشرعية النفسية فيما بعد الطاعة أن يرتبط الإنسان المسلم بالقرب من الله عند الانتهاء من إحدى العبادات أو الطاعات.
كما في قوله سبحانه : ﴿ فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ (الشرح : 7).
حتى لا يكون الفراغ من العبادة فراغ من الرغبة إلي الله.
وعند الانتهاء من مناسك الحج..
﴿ فَإِذا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ (البقرة : 200).

حتى اصبحت المراعاة النفسية في الأحكام الشرعية أساساً عاماً للشريعه .

وهذه آية المراعاة النفسية في التعامل وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ (الأحزاب : 37).
إن الله سبحانه علم وقدر أن عبده ورسوله محمد ﷺ سيتزوج زينب وأن هذا القدر نافذ إلى درجة أن يعاتب الله نبيه لما كان يقول لزيد : " أمسك عليك زوجك "، كما في قوله عز وجل : ﴿ إذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه .....﴾.

وقد كانت هذه الآيات بمجرد أن تأخر رسول الله بعض الأيام، كان يقول فيها لزيد: أمسك عليك زوجك، وهو يعلم صلى الله عليه وسلم أنه سيتزوجها.. ولكن هذا الزواج كان قد تأخر قبل ذلك كثيراً، وكان لابد أن يتأخر.. ولم يكن هناك علة لذلك إلا أن تبقى زينب مع زيد حتى يقضي منها وطراً..
فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها.. . وهكذا كان الاعتبار لحالة زيد النفسية حتى بلغ زيد درجة الانتهاء الكلي من الرغبة في زينب، بل والملل من بقاءها معه حتى كان يشتكي منها.
وهكذا تم الأمر.
حتى عندما يأتى حكم يبدو فيه الاعتبار النفسي ليس بالقدر الكافي؛ فإننا نجد أن ذلك لحفظ النفس ذاتها.
مثل حكم من رأى رجلاً مع زوجته.. كما في حديث سعد.
عن المغيرة بن شعبة قال:
قال سعد بن عبادة: لو رأيت مع امرأتي رجلاً ، لضربته بالسيف غير مصفح.
فبلغ ذلك رسول الله -صلَّى الله عليه وسلم-.
فقال: [أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ] [1].

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الحدود / بـ من رأى مع امرأته رجلاً فقتله / ح 6846) ، ومسلم في (اللعان / بـ باب / ح 1499) من حديث المغيرة بن شعبة .

إن رسول الله يضبط الموقف بحقيقة هائلة..:" أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي ". فليست المشكلة هنا هي غيرة.. ولكن المسألة أن الإنسان الذي سيرجم لابد أن تتوافر له كل حقوقه التي تنفي عليها الاجراءات الشرعية التي تقوم بها الحدود .

وبذلك لا ترى النهي عن قتل من يراه يزني خروجاً على الاعتبار النفسي في الأحكام- كمايبدو لنا – وعدم اعتبار الغيره .

وليس أدل على جوهرية الاعتبار النفسي في الأحكام الشرعية من جعل حد الجارية الزانية نصف حد الحرة..

وذلك باعتبار نفسي خطير وهو أن إحساس الحرة بذاتها وكيانها وكرامتها يمثل مانعاً ضخماً من الوقوع في الزنا، الأمر الذي يختلف بالنسبة للجارية التي تفقد ذلك كله.

ولقد كان للمراعاة النفسية في الأحكام الشرعية قوة جوهرية، وذلك عندما نرى عمر بن الخطاب يهدي رجلاً فرساً، فإذا بالرجل يحتاج مالاً فيقرر بيع الفرس، فيراه عمر يباع فعز عليه الفرس فأراد أن يشتريه.. فعرض الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا برسول الله يقول كلمته : لا تشتريه ولو بدرهم ". لايقل أحد أن هذا بيع وشراء [1].

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الهبة وفضلها والتحريض عليها / بـ لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته / ح 2623) ، ومسلم في (الهبات / بـ كراهية شراء الإنسان ما تصدق به ممن تصدق / ح 1620) من حديث عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِيَهُ مِنْهُ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَائِعُهُ بِرُخْصٍ فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : [لَا تَشْتَرِهِ وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ] .

لأن الوحي يراعي أن الرجل لن يستطيع – نفسياً – مراجعة عمر ومفاصلته في الثمن لأنه في الاساس فرسه وهديته.
وهكذا تكون المراعاة.

والوصول إلى الصيغة الشرعية للإنسان لابد أن يكون معه مخالفه بعض الأحكام الشرعية لطبيعة النفس الأصلية، مثل الإنفاق رغم طبيعة الشح الأصلية كما قال سبحانه: ﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾.

وهنا يكون المعني الانساني للشريعة متمثلا في معالجة هذا الاختلاف بأحكام التوفيق والحكمة..حتى لا يكون الاصطدام.. مثل التحريض على الإنفاق : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾. ومثل الطمأنة على أن المال لا ينقص بالصدقة كما قال ﷺ : " ما نقص مال عبد من صدقة "[2].

ومن أخطر الأمثلة الشرعية على الاعتبار النفسي هو معالجة الطبيعة الدفينة للإحساس بالظلم عند الإنسان. مما يدل علي المعالجة النفسية بالأحكام الشرعية بأعمق مدى
لأن الإحساس بالظلم من الإحساسات الخطيرة التي لا تعالج عند المظلوم إلا بالقصاص من الظالم شخصياً، فلا يريح المظلوم أن يعلم أن

---

(2) [صحيح] أخرجه الترمذي في (الزهد / بـ ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر/ ح 2325) من حديث أَبُو كَبْشَةَ الْأَنَّمَارِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : [ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ] قَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ اهـ .

الظالم في النار مع أهل النار، ولكن يريحه أن يلقاه ويرى عذابه شخصياً. وهذا تفسير قول الله : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيم ﴾(سورة الحج : 19)، وهو ما يثبت الدلالة النفسية لطبيعة الإحساس بين المظلوم والظالم بصفته الشخصية.

والفوارق الشخصية :
وحقيقة أن الشريعة هي المنبع الواحد الذي يرده الجميع لا تعني أن يتحول الناس إلى صورة سلوكية متكررة، بل إن التفاعل بين الإنسان بطبيعته الأصلية ومنبع الشريعة الذي سيرده هذا الإنسان سينشئ عنه فوارق شخصية ولكنها لا تتجاوز ألوان العسل الذي يخرج من بطن النحل مادة واحدة وإن اختلفت ألوانه.
ولذلك يقول ابن القيم :
وأما ما يقع في كلام بعض العلماء : أن الطرق إلى الله متعددة ومتنوعة، جعلها الله كذلك، لتنوع الاستعدادات، واختلافها رحمة منه وفضل، فهو صحيح لا ينافي ما ذكرناه من وحدة الطريق، وكشف ذلك وإيضاحه أن الطريق هي واحدة جامعة لكل ما يرضي الله. وما يرضيه متعدد متنوع فجميع ما يرضيه طريق واحد، ومراضيه متعددة متنوعة بحسب الأزمان والأماكن والأشخاص والأحوال، وكلها طرق مرضاته.

فهذه التي جعلها الله لرحمته وحكمته كثيرة ومتنوعة جداً، لاختلاف الاستعدادات وضعفها، ولم يسلكها إلا واحد، ولكن لما اختلفت الاستعدادات تنوعت الطرق ليسلك كل امرئ إلى ربه طريقاً يقتضيها استعداده وقوته وقبوله.

ولذلك يقول ابن تيمية : فأقام الله الحجة وصرف الآيات والأمثال، ونوع الأدلة. ولو كان الخلق كلهم على طريقة واحدة من الهداية لما حصلت هذه الأمور ولا تنوعت هذه الأدلة والأمثال.

وإذا علم هذا، فمن الناس من يكون سيد عمله وطريقه الذي يعد سلوكه إلى الله؛ طريق العلم والتعليم.
ومن الناس من يكون سيد عمله الذكرُ، وقد جعله زاده لمعاده، ورأس ماله لماله.
ومن الناس من يكون سيد عمله وطريقه الصلاة.
ومن الناس من يكون طريقه الإحسان والنفع المتعدى كقضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وأنواع الصدقات قد فتح له في هذا وسلك منه طريقاً إلى ربه.
ومن الناس من يكون الصيام طريقه، فهو متى أفطر تغير عليه قلبه وساءت حاله.
ومن الناس من يكون طريقه تلاوة القرآن وهي الغالب على أوقاته وهي أعظم أوراده.
ومن الناس من يكون طريقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد فتح الله له فيه، ونفذ منه إلى ربه.
ومنهم من يكون طريقه الذي نفذ فيه الحج والإعمار.
ومنهم من يكون طريقه قطع العلائق، وتجريد الهمة، ودوام المراقبة، ومراعاة الخواطر، وحفظ الأوقات أن تذهب ضائعة.

ومنهم جامع لمنفذ المسالك إلى الله في كل واد والوصول إليه من كل طريق فهو جعل وظائف عبوديته قبلة قلبه وعينيه يؤمها أين كانت، ويسير معها حيث سارت. وقد ضرب مع كل فريق بسهم، فأين كانت العبودية وجدته هناك : إن كان علم ,

وجدته مع أهله، أو جهاد وجدته في صف المجاهدين، أو صلاة وجدته في القانتين، أو ذكر وجدته في الذاكرين، أو إحسان ونفع وجدته في زمرة المحسنين، أو محبة ومراقبة وإنابة إلى الله وجدته في زمرة المحبين المنيبين، يدين بدين العبودية أني استقلت ركائبها، ويتوجه إليها حيث استقرت مضاربها، فلو قيل له : ما تريد من الأعمال ؟ لقال : أريد أن أنفذ أوامر ربى حيث كانت، وأين كانت ؟ جالبة ما جلبت، مقتضية ما اقتضيت؛ جماعتى أو فرقتى، وليس لى مراد إلا تنفيذها والقيام بأدائها، ومراقباً له فيها عاكفاً عليه بالروح والقلب والبدن والسر , قد سلمت إليه منتظراً منه تسليم الثمن : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:111). وبذلك كانت الشريعة هي المنهج القياسى.

ـ ولكن هناك أحكام تحتاج في علاقتها بالطبيعة الإنسانية الأصلية إلى نوع مناقشة، وأهمها حكم الحجاب، إذ يطرح التساؤل نفسه : هل ترغب المرأة نفسياً وإنسانياً أن يراها الرجال.. ثم يأتى حكم الحجاب مناقضاً لهذه الرغبة ؟.

الحقيقة.. وبصفة عامة، أن العلاقة الفطرية بين المرأة والرجل ليست قائمة في البداية على الرغبة المتبادلة بينهما , إذ يسبق هذه الرغبة الإحساس الذاتي بكل منهما لنفسه قبل إحساس كل منهما بالآخر، والإحساس الذاتي لكل من الرجل والمرأة يقتضي أن ينشأ بالنسبة للرجل مشاعر الرجولة والتميز والكرامة، وأن تنشأ

بالنسبة للمرأة مشاعر الأنوثة والتميز والكرامة، وأن نشأة الإحساس المتبادل بينهما يأتى بعد هذه المرحلة..

وعلى هذا فإن العلاقة بين الرجل والمرأة في المرحلة الثانية تأتي باعتبار مشاعر المرحلة الأولى.. و الحجاب يعالج الإحساس الذاتى للمرأة قبل معالجة إحساس المرأة بالرجل.

وتفسير ذلك.. أن الرجل يختار المرأة التي تتمم له شعوره بالرجولة والتميز والكرامة، وكذلك المرأة تختار الرجل الذي يتمم لها شعورها بالأنوثة والتميز والكرامة، وهذا المنطلق هو الذي يجعل الرجل ليس لكل النساء والمرأة ليست لكل الرجال، ولكن يكون الرجل لامرأة معينة والمرأة لرجل معين. فإذا اتجهنا بالتفصيل إلى المرأة باعتبارها موضوع الكلام نجد أن المرأة حسب هذه القاعدة لا تحب كل الرجال، بل رجل معين. ويترتب على ذلك أن لا تحب أن يراها إلا من تحب ولا يغير عليها إلا من تحب ولا تقبل معاشرة إلا من تحب، على ألا يكون لهذا الحب إلا منطلق أساسي، وهو إتمام المشاعر الذاتية للمرأة، وهي الأنوثة والتميز والكرامة. وهدم هذه القاعدة هو الذي أحدث الانفصال بين الإحساس بالذات وبين الحجاب ، الأمر الذي تؤكد عليه الأحكام الشرعية بصورة مستفيضة. فمن حيث الذات والحجاب جاء قول الله سبحانه: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (الأحزاب:59) ففى الآية ربط بين الإحساس بالذات و الحجاب.لأن " الإحساس بالانتماء للأمة من خلال مقام النبوة يا أيها النبي قل لأزواجك... و لأن

الإحساس بالانتماء للأمة إحساس بالذات و بناتك و نساء المؤمنين...

وهنا تأتي هذه العناصر الثلاثة :
أ- إن الحجاب الذى تتميز به المرأة المسلمة يغذي مشاعر الرغبة في التميز عند المرأة.
ب- إن الحجاب يمثل زي الكرامة في المرأة، ويكفي أن تعلم المحجبة أن اعتداء أحد اليهود على زي امرأة مسلمة كان سبباً في جلاء بني قينقاع، وهي واحدة من أكبر قبائل اليهود في جزيرة العرب.
جـ - إن الحجاب باعتباره زي طاعة لله؛ فإنه يكون زياً جمالياً كما قال ابن القيم : " .. و الجمال فى الصورة و اللباس و الهيئة ثلاث أنواع: منه ما يحمد و منه ما يذم و منه ما لا يتعلق به مدح و لا ذم ، فالمحمود منه ما كان لله و أعان على طاعة الله و تنفيذ أوامره و الاستجابة له كما كان النبي يتجمل للوفود ، و هو نظير لباس آلة الحرب للقتال .." (الفوائد).

و المرأة تحب أن تتحقق فيها كل هذه العناصر ولكن ليس بصفة شخصية مباشرة بل من خلال الأحكام الشرعية للعلاقة بين الرجال والنساء، فعندما تسير مجموعة من النساء المحجبات فقد تشعر كل واحدة داخل نفسها أنها من خلال المظهر العام للحجاب أنها بذاتها موضع تكريم و اختصاص ولا مانع من هذا الاحساس في اطار المظهر العام للالتزام بالحجاب .

وفي المقابل يكون التبرج ظاهرة غير فطرية..لأنها لا تتضمن هذه العناصر الثلاثة، بل تجعل المرأة لأى رجل، وبذلك تفقد إحساسها بجمالها وتميزها وكرامتها.

وهذا الذي يجعل المرأة المتبرجة ترفض مغازلة رجل لها وتفوح بمغازلة أخر لأن نظرتها إلي الرجل هي التي تحدد رفض أو قبول الغزل حتى المرأة المتبرجة وهي تكشف جسدها لكل الناس تشعر أنها ليست لكل الناس .... بل لمن ترغب هي أن يراها

وبذلك يكون في الحجاب اعتبار كبير للإحساس الطبيعي عند المرأة بأن لا تكون إلا لمن تحب ... هو زوجها ورجُلها فلا يراها أحد غيره ....

ـ ومن الأحكام التي تتطلب تفسيراً شرعياً باعتبار نفسي هو الحكم بان شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد.

وهذا الحكم هو مقتضى حقيقة أن المرأة ناقصة عقل.

وتفسير نقصان عقل المرأة .. كمال في وظيفتها وشخصيتها.

لأن هذا النقصان جاء من عدة زوايا للافتراق بين عقل المرأة والواقع.

وهذه الزوايا هي في حقيقتها مقتضى جوهري لوظيفة المرأة الطبيعية

ـ فالمرأة كزوجة ترغب نفسياً وبشدة أن تكون في نظر زوجها أجمل وألطف وانشط النساء على وجه الأرض رغم يقينها أنها ليست كذلك..

ولكنها ترغب في أن تكون هذه صورتها في نظر زوجها .. ، و لذلك تجد راحة شديدة عندما يحدثها زوجها في المعاني التي تتخيلها في نفسها

ومن هنا أجاز الشرع الكذب على الزوجة.[1]

---

(1) [صحيح] أخرجه الترمذي في (البر والصلة / بـ ما جاء في اصلاح ذات البين / ح 1939) من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ] .

والأصل في التعامل هو الصدق بين الأطراف فإذا كذب أحد الأطراف على الآخر غضب عليه هذا الآخر فإذا لم يغضب عليه و رضى بكذبه بل و رغب في أن يكثر من الكذب عليه فإن هذا سيكون بلا شك نقصاناً في عقله.
وهذا هو واقع المرأة على وجه الحقيقة. ناقصة عقل لترغب في كذب زوجها عليها . حين يصور لها نفسها بالصورة التي ترغبها وإن كانت مخالفه للواقع
ـ وغلبة الرجاء عند المرأة لا يقل خطورة عن رغبتها في الكذب عليها.
لأن المرأة كما تحب أن تكون في نظر زوجها أحسن من واقعها فإنها تحب أن يكون مستقبلها أحسن من واقعها أيضاً، وكما يكذب الرجل على المرأة في شخصها يكذب عليها في مستقبلها وهي أيضاً تعلم ذلك وترغبه بنفس درجة الرغبة في الكذب عليها في شخصها.
ولأن أمل المرأة في مستقبلها يفوق إمكانيات أي رجل كان ضرورياً أن يمنيها الرجل في مستقبلها ويجعلها في رجاء دائم في حياة أفضل.
و هذه حادثة سليمان التي رواها الحافظ أبو بكر البيهقي: حدثني أبو مالك قال: مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: وما يقول يا نبي الله؟ قال: يخطبها إلى نفسه ويقول: زوجيني، أسكنك أي غرف دمشق شئت. قال سليمان عليه السلام: لأن غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد، ولكن كل خاطب كذاب.[2] رواه ابن عساكر.
أما الزاوية الثالثة؛ فهي الاختلاف بين عقل المرأة وواقعها في مقتضيات الأمومة...

---

(2) أخرجه ابن عساكر في " "

فالعلاقة بين الأم وابنها في المرحلة الجنينية أمر ضروري للغاية بالنسبة للجنين وهي في نفس الوقت طبيعة أمومة قائمة فيها منذ الصغر.
فعندما تكون بهذه الطبيعة .. حتى تكبر وتصير أماً فلا بد أن تتعامل بهذه الطبيعة مع الجنين الذي في بطنها.
حتى إن المرأة تتعامل مع جنينها إلى درجة المخاطبة والحوار وهو أمر صحي للجنين لكن ممارسته تتطلب قدراً من العاطفة الزائدة عن العقل لأنها تنشئ علاقة مع طرف خفي و هو جنينها الذي لم يزل في بطنها.
و عندما تتخيل أن زوج دخل على امرأته الحامل ووجدها وحدها تتكلم مع الجنين الذي في بطنها وتتخيله يشاركها الحوار فتصمت حتى تعطيه فرصة الرد (أقصد الجنين) ثم تضحك وحدها إذا تخيلت أنها تكلمه كلاماً مضحكاً أو يرد عليها رداً مضحكاً وتعتب عليه لأنه لا يريد أن يكون كما تريد فهي تريده كذا وهو يريد أن يكون شيئاً آخر.
فماذا سيقول الزوج
وهذا هو تفسير نقصان العقل
الناشئ عن غلبة تخيلها الكمال في نفسها، و عن أملها الخيالي في مستقبلها. وعاطفتها الجامحة في أمومتها ..
وكلها ضرورات جوهرية في وظيفتها الطبيعية.
ومن الأحكام التي يجب أن تناقش شرعاً باعتبار إنساني هو حكم إباحة ضرب الزوجة الوارد في قول الله .. واضربوهن .. (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ

فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا).
وهذه الآية تنبه صيغتها إلى حقيقة هامة وهي أن الضرب لا يكون إلا اضطراراً لأنه لا يكون إلا آخر الأمر بعد ".ولذلك كان قبل الضرب . فإن خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع . . ". الأمر الذي لا يكون في النهاية إلا اضطرارا.
وبمجرد أن يتحقق الغرض بلا زيادة لأن الزيادة ستكون بغياً.
ولذلك قالت الآية بعد الضرب " فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ".
و لذلك أورد البخاري في صحيحه باب كراهية ضرب النساء
ويجب أن يكون مفهوماً أن أثر الضرب المباح إباحة محدودة .. مرهون بطبيعة العلاقة أصلاً.
بمعنى أن الإباحة المحددة بالضرب استثناء يثبت الأصل.
والأصل هو المودة والرحمة والعطف والحنان فعندما يكون الضرب استثناء من هذا الأصل و بمجرد حدوثه بأقل صورة يكون له في نفس الزوجة أكبر الأثر والحقيقة أن المرأة السوية عندما يضربها زوجها بهذه الصورة الشرعية .. وبهذه الروح الحانية فإن الزوجة تزداد حباً لزوجها .. لعدة أسباب.
لأنها تشعر أن زوجها حريص على علاقته الزوجية بها فأذهب غضبه بهذا التصرف " وليس بأي تصور يؤثر في العلاقة ذاتها ".
ولأن المرأة تحب أن ترى في نفسها المرأة المدللة. ولأنها تحب أن تعيش هذا الإحساس فإنها تحب مع ذلك أن يكون زوجها بجانبها لينبهها عند تغيب بهذا الإحساس عن مقتضيات الواقع وواجبا

ته. فتحب أن تشعر بيد قوية تمسك بزمامها وتنبه غفلتها.
تماماً مثل التعامل مع إنسان غائب عن الوعي لأن المرأة عندما يكون زوجها حاسماً معها بجانب حنانه عليها .. ترى فيه قوة الحسم التي لا يكون معها بغي عليها.
ورقة الحنان التي لا يكون معها ضعف أمامها.
فترى الرجولة العاقلة الحكيمة.. فتزداد حباً له.
و العلاقة بين الطبيعة الإنسانية و الأحكام الشرعية لا يتوقف عند حد إنسانية الأحكام و لكنه يمتد بحيث يكون الالتزام بهذه الأحكام هو بدوره التزاما طبيعيا ليكون التوافق النفسي بين الأحكام و الالتزام
و شواهد الالتزام الطبيعي . هي مجموع شواهد صحة الإحكام وصحة السلوك للالتزام وأهمها ..
1- الإيمان الذي يمثل الدافع الطبيعي للسلوك . كما قال ابن تيميه (الفتاوى)
ـ وقد تخفي العبادة حالة نفسية تعويضية كما كان الأمر عند الخوارج وكما كانت الأمة الواحدة، والعبودية لله الواحد؛ حقيقتان متساويتان في تحقيق الإحساس الشرعي بالذات كانت صيغة التعويض النفسي عند الخروج على الأمة هي المبالغة في العبادة، مثلما كان من الخوارج، فبينما كان رسول الله يوزع الغنائم قال رجل : هذه القسمة لم يبتغى بها وجه الله. فأراد عمر قتله فمنعه رسول الله وقال له : "سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يحقر أحدكم

صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم "[1]. و هذا في حالة خروج الفرد عن الأمة القائمة.

2 ـ و المنهج الإسلامي لا يطرح أحكام و يتركها لمن يحاول الالتزام بل أنه يبقي مع الإنسان ليحفظه من نفسه و النصوص الشرعية بأسلوبها و صياغتها .

هي دليل هذه المنهجية ...

فعندما سؤل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟

قَالَ الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا .

ثُمَّ قَالَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ .

ثُمَّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَا تَرَكْتُ أَسْتَزِيدُهُ إِلَّا إِرْعَاءً عَلَيْهِ .[1]

و معني هذا الترتيب ضرورة الانطلاق للجهاد من واقع العبودية لله .. و العبودية لله هي الذل و الخضوع .

و من واقع بر الوالدين الذي يحفظ من الجبروت و الشقاوة (وبرا بوالدتي ولم أكن جبارا شقيا)

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (المناقب / بـ علامات النبوة في الإسلام / ح 3610) ، ومسلم في (الزكاة / بـ ذكر الخوارج وصفاتهم / ح 1064) من حديث أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ فَقَالَ وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ وَهُوَ قِدْحُهُ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعَتَهُ]

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (التوحيد / بـ وسمى النبي صلى الله عليه وسلم / ح 7534) ، ومسلم في (الإيمان / بـ بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال / ح 85) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : [سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا . قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَا تَرَكْتُ أَسْتَزِيدُهُ إِلَّا إِرْعَاءَ عَلَيْهِ] .

فعندما يكون الجهاد من واقع الذل و الخضوع لله .
و عندما يكون الجهاد من واقع الحرز من الجبروت و الشقاوة
عندئذ لا يمكن أن يختفي تحت مظلة الجهاد . عقدة التمرد التي قد تصيب الإنسان فتدفعة إلي المواجهة مع المجتمع بأي شكل .

3 ـ ويكشف المنهج الإسلامي ظاهرة خطيرة . وهي أن صورة الالتزام غير الطبيعي قد يأخذ صورة مبالغ فيها من شدة الالتزام ..
و لكن هذه الشدة لن تدخل هذا السلوك في حدود الالتزام الطبيعي فيقول رسول الله صلي الله عليه وسلم
فإن أشير إليك بالبنان فذلك مالا ترجوه
ـ ولذلك يحدد المنهج الإسلامي شواهد الالتزام الطبيعي .

4 ـ ومن أهم شواهد الالتزام الطبيعي أن يكون قدر الاستطاعة و يبين النبي صلي الله عليه وسلم أن تحميل الإنسان لنفسه ما لا يطيق سيكون له أثر نفسيا خطيرا وهو (الذل) فقال لا يحل لمسلم أن يذل نفسه .
قالوا كيف يا رسول الله .
قال يتحمل من البلاء ما لا يطيق .[1]
و لعل أخطر شواهد الالتزام الطبيعي هو الدوام و الاستمرار .
لأن الالتزام في هذه الحالة سيكون سلوكا محببا للنفس . فترتاح النفس إليه وبه
ولذلك قال رسول الله صلي الله عليه وسلم

(1) [صحيح] وقد تقدم من حديث حذيفة .

(أحب الأعمال إلي الله أدومه و إن قل)[2]
وقال أن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقي .[3]

4- المصطلح الرابع : الدين

وقد ورد الدين بمعنى الجزاء.
كما ورد بمعنى العقيدة.
وكذلك بمعنى النظام.

ودليل المعنى الأول قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (الفاتحة:4).

ودليل المعنى الثاني قول الله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(الكافرون).
ودليل المعنى الثالث قول الله : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:76). أى في نظام الملك كما ورد في قصة يوسف.

وهذه هي الجوانب الثلاثة لمصطلح الدين التي سيقوم التحليل على أساسها.

المعنى الأول
الجزاء :

---

(2) [متفق عليه] اخرجه البخاري في (اللباس / بـ الجلوس على الحصير ونحوه / ح 5862) ، ومسلم في (صلاة المسافرين وقصرها/ بـ فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره / ح 783) من عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ] قَالَ – القاسم بن محمد الراوي عن عائشة - وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا عَمِلَتْ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ .

(3) [ضعيف] أخرجه ( ) ، وضعفه الشيخ الألباني في (السلسلة الضعيفة / 5 / 501 / ح 2480) .

والدين بمعنى الجزاء هو الشاهد من الاستدلال بمصطلح الدين لأن الجزاء يكون مطابقاً تمام التطابق لطبيعة العمل , ومن هنا كان التطابق في الجزاء مع طبيعة العمل هو أساس التحليل السلوكي للإنسان فيمكننا بذلك إدراك طبيعة العمل من تحليل الجزاء.

وبذلك أصبح الجزاء من أهم كواشف النفس البشرية؛ والعمل عندما يصدر عن النفس فإنه يكشف بدوره نفسية صاحب العمل ودوافعه .

و توضيح حقيقة التجانس المقصود؛ في قول الله عز وجل : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾ (الرحمن:60)، لا يدل على مجرد التجانس في الإحسان بصفة عامة، بل يدل على طبيعة وتفصيل وتفسير العمل الذي هو موضوع الجزاء، ويدل أيضاً على مقدار ومدى ما يستحقه صاحب هذا العمل من وجوه وأشكال الجزاء المناسب والمطابق لطبيعة هذا العمل.

و أهم امثله الأدلة القاطعة على صواب اعتبار الجزاء مصدر تحليل للسلوك الإنساني هو مسخ بني إسرائيل قردة وخنازير. بعد إعتدائهم في السبت (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)(البقرة : 65) .

فالتجانس بين الجزاء والعمل جاء بصورة مطلقة لا مثيل لها , فالذين اصطادوا يوم السبت أصبحوا قرده و خنازير .

ومن أمثله التجانس بين العمل و الجزاء هو ما كان من السامرى

حيث كان الغرض النفسي من صناعته العجل لبني اسرائيل . هو أن يجتمع الناس حوله و يعظمونه وينبهرون به .

فكان جزاءه أن يصاب بمرض جلدى مقزز جعل الناس يشمئزون منه وينفرون عنه وأصبح هو نفسه لا يتحمل أى مس له من أى أحد حتي بلغ الامر أن يقول بنفسه للناس لا مساس .

(قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا)(سورة طه : 97).

يقول هو بنفسه لانه هو الذي حاول بنفسه أن يلتف الناس حوله .

ومن أمثله التجانس بين السلوك و الجزاء ...

هو قول الله سبحانه وتعالي (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ)(سورة التوبة: 35) .

و التجانس جاء من قول الله فتكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم

لان المال إستعلاء نفسي ودلالته هي الارتفاع بالجبهه .. ولذلك قال جباههم

لأن الفعل كان اختيار للحرام وترك الطيب من الطعام و الخنزير هو الحيوان الذي يختار الطعام الخبيث (الانتقاء المقلوب) كما كان في الفعل تقليد من بعضهم لأصحاب الاختيار الحرام والقرده هي الحيوان المُقلد .

و لأن إطمئنان نفسي ودلالته الرقود و الاستلقاء ولذلك قال وجنوبهم

و لأن والمال سند نفسي بدلالته الظهر الذي يعبر عنه بالسند فالذي له ظهر يعني له سند ولذلك قال و ظهورهم ..

- **ومثال قول رسول الله : " أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك المراء وهو محق.. "[1]. فكان جزاء ترك المراء هو أن يكون له بيت لأن المراء قلق واضطراب وتوتر فيكون السكون في الجنة بالبيت.**

ولماكان المراء محاولة للظهور والتميز ولفت الأنظار، كان جزاء تركه أن يكون البيت في وسط الجنة وأعلاها؛ لأن الربض هو أوسط المكان وأعلاه كما في لسان العرب.
فيتحقق له السكون بالبيت ويتحقق له التفات الأنظار إليه بالوسطية وتحقق الظهور بالارتفاع.
فأصبح الجزاء تحليلاً مباشراً لطبيعة السلوك وهو ترك المراء.

ومن أمثله التجانس بين السلوك والجزاء، وهو قول رسول الله : " يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ يَعْلُوهُمْ كُلُّ شيء مِنْ الصَّغَارِ حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُولَسُ فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ

---

(1) [صحيح] أخرجه أبو داود في (الأدب / بـ في حسن الخلق / ح 4800) من حديث أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ]، وحسنه الشيخ الألباني في (السلسلة الصحيحة / 1 / 552 / ح 273) .

طِينَةِ الْخَبَالِ عُصَارَةِ أهل النَّارِ "[2]. فهم مثل الذر لأن الكبر انتفاخ , فكانوا في منتهى الضآلة.

و يدخلون سجناً في جهنم لأن المتكبرين كانوا يتصورون تميزهم عن غيرهم فتميزوا عن أصحاب جهنم بمكان خاص جزاء علي الإحساس بالمكانة الخاصة وكما علاهم الناس في الحشر يوم القيامة تعلوهم النساء في جهنم

وكما كان لهم مكان خاص كانت لهم نار خاصة (نار الأنيار) حتى وصف أن وصف النار يُذكر بوصفهم لأنفسهم مثل (شاهنشاه) يعني (ملك الملوك) أو عظيم العظماء.

ولا انخفاض أكثر مما تحت الأقدام. وقد كانوا يحاولون الظهور ويتعالون، وهم الآن يطأهم الناس دون أن يرونهم فلا مكانة لهم يعرفون بها. ومن أمثله التجانس بين السلوك و الجزاء

وقال رسول الله في جزاء الصلح بين الناس أن يقال له : خذ ما شئت من الأجر؛ لأن الذي يصلح بين الناس لن يجد جزاء عند أى طرف من الأطراف الذين أصلح بينهم، فكان عند الله الجزاء، ولأنه وضع نفسه برغبته فكان الجزاء أن يحدد بنفسه وبرغبته الأجر.

- حديث من كظم غيظاً لله تعالى يقال له : خذ ما شئت من الحور العين[1]؛ لأن الغيظ كبت وحبس ومنع؛ فكان مناسباً أن يكون الانطلاق وتحقيق

---

(2) [حسن] أخرجه الترمذي في (صفة القيامة والرقائق والورع / بـ منه / ح 2492) من حديث ابن عمرو ، و قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح اهـ ، وحسنه الشيخ الألباني في (صحيح الجامع / 2 / 1335 / ح 8040) .

(1) [صحيح] أخرجه الترمذي في (البر والصلة / بـ في كظم الغيظ / ح 2021) ، وأبو داود في (الأدب / بـ من كظم غيظاً / ح 4777) ، وابن ماجة في (الزهد / بـ الحلم / ح 4239) من حديث معاذ بن أنس ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وحسنه الشيخ الألباني في (صحيح ابن ماجة / 2 / 407 / ح 3375) .

الرغبة المطلقة بأن يأخذ من الحور العين ما يشاء.
ومن قواعد التجانس بين العمل والجزاء : الموازنة بين الجزاء الأصلي للفعل والأثر النفسي للجزاء.
ولنضرب لذلك مثلاً وهو :
قول الرسول : " لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلى مَنَازِلِ قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهم "[2].
ففي هذا الحديث كان الفعل هو ترك الصلاة في المسجد بغير عذر، وكان الجزاء أو العقوبة الأصلية هو الحرق، فلما كان هذا الأمر مستحيلاً لوجود النساء والأطفال الذين لا تجب عليهم الصلاة في المسجد؛ اشتعلت النار أيضاً ولكن بصورة نفسية ؛ وهي الحرب التي تشتعل مثل النار كما قال تعالى : كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (المائدة:64).

فتتوتر العلاقات الأسرية وتتفكك ويشكو البيت ناراً غير مرئية؛ فعندما نجد أسرة مفككة الأوامر أو متشاكسة الطبع أو عصبية المزاج فلا نبتعد كثيراً عن تلك العلة وهي ترك الصلاة المفروضة في المساجد.
فالحديث يثبت أن الأثر النفسي يساوي العقوبة الأصلية عند استحالة حدوثها.

وقال : [مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ] [1].
وقال أيضاً : [.. كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ] [2].

---

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الأذان / بـ وجوب صلاة الجماعة / ح 644) ، ومسلم في (المساجد ومواضع الصلاة / بـ فضل صلاة الجماعة وبيان التشدد في التخلف / ح 651) من حديث أبي هريرة .
(1) [صحيح] أخرجه البخاري في (مواقيت الصلاة / بـ من ترك العصر / ح 553) من حديث بريدة بن الحصيب .

فحبوط العمل كان عقوبة أصلية، ولكن الأثر النفسي المساوي لها هو إحساس الإنسان بفقد أهله وماله، ومع ذلك فإن هذا الإحساس بذاته وإن ذكر كمساوي للعقوبة الأصلية إلا أن هذه العلاقة المباشرة بينه وبين الذنب قائمة؛ فالذي يترك صلاة العصر ركوناً إلى الأهل ورغبة في الأولاد سيحرمه الله بمشيئته من الفرح بهم وكأنه فقدهم.

ولما كان الجزاء دليلاً على السلوك.
وكان السلوك دليلاً على الشخصية.
كان الجزاء دليلاً على الشخصية.

وهذا مضمون قول الله عز وجل : ﴿ نْ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1)مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم 3:1).

فقررت الآيات الكمال لشخصية رسول الله ﷺ عندما ذكرت أن رسول الله ﷺ له الكمال في الأجر : ﴿ وإن لك لأجراً غير ممنون ﴾ أي: غير منقوص.

ومن المفاهيم التحليلية الناشئة عن مصطلح الدين بمعنى الجزاء أن الحسنة جزاءها أن يوفق العبد لحسنة أخرى مثلها.

وتطبيق هذه القاعدة في مجال السلوك.. هو قول رسول الله ﷺ: " من يتصبر يصبره الله ومن يستغن يغنه الله "[1].

---

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (مواقيت الصلاة / بـ إثم من فاتته العصر / ح 552) ، ومسلم في (المساجد ومواضع الصلاة / بـ التغليظ في تفويت صلاة العصر / ح 626) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : [الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ] .

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الزكاة / بـ لا صدقة إلا عن ظهر غني / ح 1496) ، ومسلم في (الزكاة / بـ فضل التعفف والصبر / ح 1053) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ

أي إن الذي يريد الصبر وينويه.. يوفقه الله إلى الصبر فعلاً وكذلك من يستغن. فكان جزاء النية والقصد.. تحقق العمل..

و تمتد العلاقة بين القصد والسلوك حتى يبلغ تمامها في القلب.

وهو الذي قال فيه رسول الله : " (تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربدا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه).

ويصبح باطن الإنسان خيراً.. ويتكون اللاشعور الحسن الذي يؤثر على شعوره ليكون الجزاء حسناً. ويكون المثل على ذلك.. الرؤية : " أصدقكم رؤية أصدقكم حديثاً "[1].

فالرؤية دليل علي التجانس بين اللاشعور و الشعور ...

المعنى الثاني

العقيدة :

فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنْ الصَّبْرِ] .

(2) [صحيح] أخرجه مسلم في (الرؤيا / بـ منه / ح 2263) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : [إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنْ اللَّهِ وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنْ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ] قَالَ : وَأُحِبُّ الْقَيْدَ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ فَلَا أَدْرِي هُوَ فِي الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ .

وإذا كانت مدرسة التحليل النفسي الإسلامية قد قامت على الأسماء اللغوية والمصطلحات الشرعية؛ فإن تحليل هذه الأسماء وتلك المصطلحات من حيث تفسير معناها بذاتها وعلاقتها بغيرها يصبح أمراً أساسياً في التحليل النفسي. ولنضرب لذلك مثالاً: هو العلاقة بين الإيمان و العقيدة

فمن تفسير الإيمان يتم تفسير العقيدة، وقد تبين تعريف الإيمان بالاطمئنان، فإذا كان استقرار الحقائق أو اطمئنانها في القلب هو معنى الإيمان؛ فإن انعقاد القلب على الحقائق المستقرة هو معنى العقيدة.

والسلوك الذي يمارسه صاحب العقيدة بناء علي هذا المعنى يعتبر سلوكاً عقيدياً؛ لأن صاحب العقيدة يتصرف مع غيره باعتبار أن عقيدته هي الحقائق التي لا يقبل المناقشة فيها أو الرجوع عنها، فيكون الموقف النفسي هو الحرص التام والحساسية الشديدة.
ومع ذلك المعني فإن هناك فرق بين الإيمان و العقيدة , فإن الإيمان باعتباره الاطمئنان القلبي للحقيقة الاعتقادية قد يزيد وينقص، ولكن الحقائق الاعتقادية التي هي موضوع العقيدة تظل ثابتة في النفس لا تغيب .

ونحن في حاجة إلى مثال يوضح هذه الحقيقة، وليكن هذا المثال هو موقف حاطب ابن أبي بلتعة وخطابه إلى أهل مكة :

علم حاطب أن رسول الله

[illegible] [1]

ولعلنا نلاحظ فيها وصف حاطب لجيش المسلمين بصورة تحدث الرعب في نفوس قريش: " جيش كالليل يسير كالسيل "، كما نلاحظ قول حاطب وقسمه : " لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده ".

وهذه حقيقة اعتقادية ثابتة في قلب حاطب لم تتغير في أشد حالات الضعف؛ بدليل أن حاطب لم يحاول المحاولة إلا باعتبار أن الرسالة لن تؤثر في الموقف لأن الله عز وجل منجز لرسوله ما وعده كما قال حاطب في الرسالة.

ويقر حاطب بثباته على العقيدة رغم ضعفه موقفه فيقول : " لم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام "[2]، حتى إن تعبير حاطب عن اتخاذ السبب في حماية الأهل لم يخل من أروع أساسيات العقيدة، وهي أن الأمر بيد الله فقال : " أردت أن تكون لى عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي.[3] فتلاحظ قوله : " يدفع الله بها". وفي العلاقة بين الإيمان و الاعتقاد يكون الإيمان قبل الاعتقاد ولذلك قال الصحابي : كنا نؤت الإيمان قبل القرآن فالإيمان كحقيقة قلبية مستقرة يسبق الحقائق الاعتقادية

---

(1) قصة حاطب ابن أبي بلتعه الذي أرسل إلى قريش يُخبرهم بنية الرسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة هي في الصحيحين أخرجها البخاري في (تفسير القرآن / لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء / ح 4890) ، ومسلم في (فضائل الصحابة / بـ من فضائل أهل بدر / ح 2494) من حديث علي بن أبي طالب .

(2) [متفق عليه] وقد تقدم في الذي قبله .

(3) [متفق عليه] وقد تقدم في الذي قبله .

لان الإنسان المؤمن يتلقي الحقيقة الاعتقادية بإيمانه المستقر في القلب .
ولقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الإيمان في القلب يكون قائم لتلقي أي حقيقة اعتقاديه وذلك عندما قال : [بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً لَهُ قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ الْبَقَرَةُ فَقَالَتْ إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ تَعَجُّبًا وَفَزَعًا أَبَقَرَةٌ تَكَلَّمُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ][1] .
فقد اثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الإيمان لأبي بكر وعمر دون أن يصلهم الخبر الذي سيؤمنون به وذلك بمقتضى الإيمان المستقر في قلبهم الذي يتلقون به أي حقيقة اعتقاديه .

وكما تقرر في (الشريعة) الاعتبار النفسي في الأحكام الشرعية كان الاعتبار النفسي في حقائق العقيدة اسبق .

وليس أدل على ذلك من أسلوب مخاطبة العقل البشري في قضية التعريف بالله.
حيث ارتكز أسلوب المخاطبة على ما استقر في الأذهان عند الناس.

مثال ذلك : ما استقر في الأذهان والعقول من أن من يصنع شيئاً لأول مرة يكون أمراً صعباً عليه.

وأما من يعيد هذا الشيء فيكون أمراً سهلاً وهيناً، فيأتى القرآن ليرتكز على ما استقر في الأذهان فيقول الله سبحانه : (أم من يبدئ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه). أي : إن الإعادة أهون على الله من الابتداء.

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (المناقب / بـ قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت ... / ح 3663) ، ومسلم في (فضائل الصحابة / بـ من فضائل أبي بكر رضي الله عنه / ح 2388) من حديث أبي هريرة .

أما الحقيقة عند الله فهي أن البدء والإعادة سواء. فليس عند الله سهل وصعب : ﴿ إِنَّمَا أَمره إذا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (يّـس:82).
و هكذا يكون الاعتبار الإنساني في قضيه العقيدة و التعريف بالله .

* * *

5- المصطلح الخامس : (العبادة)

وعندما نأتي إلى مصطلح العبادة.. نأتي إلى أخطر المصطلحات النفسية؛ ذلك أن تعريف العبادة له اختصاص نفسي ليس لغيره..
فالعبادة هي غاية الحب مع مطلق الطاعة..
ولفظة : غاية الحب : تعني البعد النهائي الوجداني.
ولفظة : مطلق الطاعه : تعني البعد النهائي السلوكى.

واجتماعهما في مصطلح العبادة يعني أن العبادة هي البعد النهائي للذات، باعتبار أن الذات هي المحصلة النهائية للبعد الوجداني والسلوكي للإنسان، ولكن إدخال العبادة ضمن مصطلحات التحليل النفسي يقتضي أمراً هاماً، وهو البحث عن الصيغة الواقعية لمصطلح العبادة.

ذلك أن الصياغة الواقعية هي التي تعتبر مجالاً طبيعياً لدراسة النفس البشرية، وفي إطار البحث عن هذه الصياغة نجد أن العبادة لها ثلاثة مرتكزات، هي بذاتها التي تحدد إطاراً عاماً لهذه الصياغة الواقعيه ..

(1) الحكم ..
(2) النسك..
(3) الولاء ..

والدليل على النسك : هو قول الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِين ﴾ (الأنعام: 162:163).
والدليل على الولاء هو قول الله :﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام :14).
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة:55).
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة:56).

وإذا كنا قد اعتبرنا أن الصياغة الواقعية لمصطلح العبادة لا تخرج عن الإطار العام لهذه المرتكزات الثلاثة.

فإن المفاجأة الحقيقة هي اكتشاف أن هذه المرتكزات الثلاثة هي في جوهرها مرتكزات نفسية بصورة محددة وثابتة وظاهرة.

1- الحكم :
النشأة النفسية للسلطة :
و السلطة في الواقع الإنساني ضرورة أساسية تنشئ توازناً نفسياً بين نفسه وذاته والمجتمع الذي يعيش فيه...
فمن الناحية النفسية فإن النفس تميل إلى هواها وتكره القيود وتنفر كما تنفر الدواب من العقال. ومن هنا كان الحكم بما أنزل الله أول ضرورات الواقع الاجتماعي. لأن الحكم بما أنزل

الله هو مقتضى وعد الله بإظهار الدين، رغم السنة الثابتة بقلة أهل الحق، ذلك أن السلطة الإسلامية هي غلبة القلة الخيرة. ومن هنا ارتبطت ضرورة الحكم الإسلامي لمواجهة فسق الكثرة في قوله تعالى: وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الجاهلية يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (المائدة : 50، 49).

فالحكم، لقوم يوقنون : واليقين، هو : الاطمئنان إلى الحكم.

ومن هنا كان الحكم بما أنزل الله هو المعالجة النفسية الوحيدة لتطمئن النفس إليه كاطمئنانها إلى نفسها.

وقد كان لحقيقة غلبة الخير رغم قلة أهله عدة مقتضيات فقهية ومنهجية؛ لعل أهمها هو الحكم على الديار باعتبار شخص الحاكم والسلطة القائمة ونظام الحكم، إذ تصبح الدار إسلامية إذا كان الحاكم مسلماً، والحكم فيها بما أنزل الله حتى لو كان قاطنيها غير مسلمين.

كما يقوم مفهوم السلطة الإسلامية على سنة نفسية واجتماعية؛ وهي أن السلطان - بقدر الله - له أثره في الواقع البشري، وهو مضمون قول عثمان بن عفان : " إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ".

وباعتبار الفاعلية القدرية لموقع السلطة في واقع البشر جعل الله في هذا الموقع تقابلاً بين الخير والشر يحقق التوازن - بقدر الله - ودليل ذلك قول النبي في الحديث الذي أورده البخاري

في كتاب القدر عن أبي سعيد الخدري قال : " ما استخلف خليفة إلا له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله ".
ومن هنا كان لاختيار الحكم تصور ثابت يضمن تحقيق التوازن بين اختيار الحاكم من قبل الناس مع علم الله بمن يستحق هذا الاختيار. ويضمن هذا التوافق حقيقتان أساسيتان في اختيار الحاكم :
الأولى : النهي عن تزكية النفس، ودليله قوله عز وجل : الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْأِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (النجم : 32).
وعلة النهي عن تزكية النفس هي أن الله يزكي من يشاء كما قال سبحانه : أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (النساء : 4).
لهذا جاء رجل إلى النبي يعرض أسلوباً دعائياً فيقول : أعطني فإن مدحي زين وذمي شين. فيرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً : " ذاك الله "[1].
الثانية : إجماع المسلمين. وهم شهداء الله في الأرض كما قال النبي : " أنتم شهداء الله في الأرض "[2]، دليل على تزكية الله للعبد.

---

(1) [صحيح] أخرجه الترمذي في (تفسير القرآن / بـ ومن سورة الحجرات / ح 3267) من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ فِي قَوْلِهِ (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) قَالَ : فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [ذَاكَ اللَّهُ] ، وقَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح الترمذي / 3 / 107 / ح 2605) .
(2) [متفق عليه] أخلاجحه البخاري في (الجنائز / بـ ثناء الناس على الميت / ح 1367) ، ومسلم في (الجنائز / بـ فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى / ح 949) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وباعتبار أن مدح المسلمين لشخص هو عاجل بشرى المؤمن بمدحه عند الله؛
وباعتبار أن وضع القبول لشخص في الأرض دليل على حب الله. ومن هنا كان خير الأمراء من يحبون الرعية وتحبهم الرعية، كما قال : " خير أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم"[3].
ولقد ضرب القرآن مثلاً لعاقبة حكم الإنسان لنفسه من حيث الالتزام.
وهي الرهبانية التي ابتدعها أصحابها وما كتبها الله عليهم. ولم يكن لأحد التدخل فيها إلا أنهم لم يتبعوها، وهم مخترعوها، فليست المشكلة في الحكم ولكن في النفس.
ومن هنا فإن إنشاء النظام في الواقع ليس مهمة نفسية سهلة، ولذلك بدأها القرآن بدقة متناهية.
حيث تعامل القرآن فيها مع الذات تعاملاً رائعاً،و كان من بدايات هذا التعامل قول الله عز وجل : (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ)(سورة المجادلة : 11) .
فلم يكن أمراً سهلاً أن تطلب من رجل عربي أن ينتقل عن مكانه ... لأن العربي كان يعتبر مكانه ومجلسه هو ذاته وشخصيته ومكانته؛ لذا كانت الاستجابة للتفسح في المجالس مرحلة نفسية هائلة..

[وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ] وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ] قَالَ عُمَرُ : فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقُلْتَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ !! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ] .

(3) [صحيح] اخرجه مسلم في (الإمارة / بـ خيار الأئمة وشرارهم / ح 1855) من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : [خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ فَقَالَ : لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ] .

وكان من بدايات هذا التعامل أيضاً هو الأمر بالاستئذان من رسول الله قبل الانصراف : إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله و إذا كانوا على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه.. الآية (النور : 62).
وابتداءً من مثل هذه المواقف النفسية، وانتهاء بالبيعة على السمع والطاعة كانت الاعتبارات النفسية أساساً واضحاً في إقامة السلطة الإسلامية،
و هكذا كان الخط النفسي لإنشاء السلطة.
ولكن هذا الإنشاء كان بداية خطوط نفسية أخرى لا تقل شأناً عن خط النشأة.
وأخطر هذه الخطوط : خط الطمع فيها، وهو حب السلطة ...
وهي الظاهرة المدمرة للنفس والجماعة، كما قال رسول الله : "إنكم ستحرصون على الأمارة، وإنها ستكون ندامة وحسرة يوم القيامة، فنعم المرضعة، وبئست الفاطمة " .
وفي رواية : خزي وندامة.[1]
والملاحظة الجميلة في الحديث؛ قول رسول الله : إنها :" خزي وندامة ". لأن الخزى : هو المقابل للمكانة التي تحققها السلطة لصاحبها.. والندامة : هي التي تقابل اللهفة التي يسعى بها الإنسان للسلطة.
وأما قوله : " فنعم المرضعة وبئست الفاطمة ". فهي العبارة التي ارتبطت بها أحدث الدراسات النفسية. فقد أجريت دراسة حول شخصية الإنسان الذي اكتملت رضاعته والذي لم تكتمل رضاعته وفطم قبل وقته، فوجدوا أن الشخص الذي اكتملت رضاعته ينشأ متوازناً واثقاً في

(1) [صحيح] أخرجه البخاري في (الأحكام / بـ ما يكره من الحرص على الإمارة / 7148) من حديث أبي هريرة

نفسه. أما الآخر فوجدوه عدوانياً محباً للتسلط، مما يجعل معالجة حب السلطة يبدأ من إتمام فترة الرضاعة، كما قال : " فنعم المرضعة وبئست الفاطمة ".

وقد نصح رسول الله عبدِ الرحمَنِ بن سَمُرَة بقوله : "لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا"[1].

والحقيقة أن مرض حب السلطة مرتبط من حيث الوحدة السلوكية بظاهرة الكبر إذ أن كلا الظاهرتين هما في حقيقتيهما فرض للسلطة أو الرأي على الآخرين..

والخطير في هذا المرض هو أن الاصابه به بأي درجة ، تجعل الإنسان عاجزاً عن مواجهتها..

ومن هنا فإن التحذير من هذه الأمراض يأتي بصورة نهائية ومطلقة بحيث لا يقع الإنسان في شرها.. ففي الكبر قال الرسول : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْر " قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ"[2].

ويدخل في طبيعة هذا الداء : حب التميز بأي شكل من الأشكال..

ولذلك لم يقبل رسول الله أن يخرج رجل عن الصف فضربه في صدره حتى ساوى بينه وبين الصف.

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (اليمان والنذور / بـ قول الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو / ح 6622) ، ومسلم في (الأيمان / بـ ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خير منها / ح 1652) من حديث عبد الرحمن بن سمرة .

(2) [صحيح] أخرجه مسلم في (الإيمان / بـ تحريم الكبر وبيانه / ح 91) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : [لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ] .

2- النسك :

و النسك، هي العبادة بمعناها الانساني و النفسي ، قال
ابن منظور : رجل ناسك، أي عابد. فالنسك : هو الأمر يقابله الورع من " النهي ".
وهذه المقابلة تدل على طبيعة الورع كذلك، وقيل للمتعبد : ناسك لأنه خلص نفسه وصفاها لله تعالى من دنس الآثام، كالسبيكة المخلصة من الخبث..
وفي لسان العرب سؤال : ما هو الناسك ؟ قال : هو مأخوذ من النسيكة وهو سبيكة الفضة المصفاة كأنه خلص نفسه وصفاها لله عز وجل.

و اثباتاً لتفسير معني النسك جاءت آيات القرآن لتثبت الصفات النفسيه للناسك ....

و منها تفسير قول الله : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) فله أسلموا أخلصوا أو استسلموا لحكمته و طاعته .

وبشر المخبتين : قال مجاهد :المطمئنين

قال الضحاك وقتاده : المتواضعين

قال السدي : الوجلين .

و أحسن ما يفسر ما بعدة (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) أي خافت منه قلوبهم ﴿الصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ أي في المصائب ومما رزقناهم ينفقون .

وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم و أقاربهم

مع محافظتهم علي حدود الله .

وهذا بخلاف المنافقين فانهم بالعكس من هذا كله .

كما كما تقدم في الآيات كان معني النسك

الاخلاص و الاستسلام لله ..... و الاطمئنان و الرضي بقضاء الله ... التواضع ...

الوجلين .

الخائفين .

الصبر .

الإنفاق .

وهذا هو تفسير التصفيه النفسيه .. المحقق لمعني النسك ..

هي الحديث عن ذات الانسان حيث جاء في قول الله عز وجل (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(سورة الأنعام : 79)

و الدليل علي أن النسك حقيقة نفسية وذاتية

(وجهي) ... و (وأنا) .

قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي الضمير عائد علي ذات الانسان (وأنا أول المسلمين) ذات النبي صلي الله عليه وسلم

وفي دعاء الإستفتاح

انت ربي (وأنا) عبدك

ظلمت (نفسي) ، (فاغفر لي ذنوبي) (واهدني) (وأصرف عني) .

ففي تفسير قول الله (وجهت وجهي للذي فطر السموات و الأرض حنيفا وما أنا من المشركين.

قال ابن كثير : الإقبال : بالقصد و النيه و العزم علي الاخلاص لله تعالي

و كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يستفتح الصلاة فيقول اذا كبر ..

وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين

اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عن سيئها الا انت تباركت و تعاليت استغفرك و اتوب اليك . [1]

3- الولاء :

وكذلك الولاية ... عندما تفسر، فإن نضح وجه الزوجة أو الزوج للصلاة يكون هذا أكمل تعريف.. وأطرافه المودة في العبادة ...
لتكون أكمل صيغة عملية للحب في الله..
إذا الولاية هي الصيغة العملية للحب في الله.

وإذا كانت الولاية أكبر من طرفي الزوج والزوجة فإن العلاقة بينهما في الله تكون سبيل المؤمنين.
ليكون معنى الولاية هو السبيل الجامع لكل المتحابين في الله.
وهو شرط آخر في الولاية، وهو طبيعة العلاقة بين الأولياء وهي : (السبيل).

والولاية وضوح :
ولذلك يعبر القرآن عن السبيل بقوله : ﴿ وَكذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيات وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾

---

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (صلاة المسافرين وقصرها / بـ الدعاء في صلاة الليل وقيامة / ح 771) من حديث علي بن أبي طالب .

(الأنعام : 55).وبذلك يكون الولاء هو الاتباع الواضح البين.

والولاية موقف :
وعلى المستوى الجماعي كان المسار هو سبيل المؤمنين، وكان الموقف هو (حزب الله) : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة : 56).

والولاية صبغة :
والحذر من أي أسلوب يؤثر في صبغة الأمة وصفتها الكونية أمر واجب، ولعل أخطر الأساليب المتفق عليها هو التشبه بغير المسلمين، ولذلك كان التشبه من الولاء..
ولذا كانت دراسة حالة التشبه من الناحية النفسية دراسة مباشرة لمفهوم الولاء..

فالتشبه حالة تنشأ في نفس إنسان تجاه إنسان آخر دفعه إلى ذلك الانبهار به، وتمنى أن يكون له نفس مكانته، فإنه عندئذ يحاول التوحد مع شخصيته ولكنه لا يملك في محاولته إلا الصورة والمظهر.

وأول مجال للتشبه غالباً ما يكون الثياب؛ لأن الثياب يشير إلى المشبه به في أذهان الناس بأسرع ما يمكن. لقد كان لهذه الظاهرة وجوداً تاريخياً واسعاً في تاريخ الدعوة الإسلامية حتى آخر مراحلها.

ولقد رأينا كيف كان الأفراد يقلدون زعمائهم في طريقة كلامهم.. وفي حركة أيديهم المعبرة عن معاني كلامهم، وكان ذلك يتم دون قصد منهم، مما يدل على أن التشبه حالة لا إرادية.. ناشئة.

ولكن نشأة حالة التشبه بصورة لا إرادية لا يعفي المشبه من إثم المشبه به إن كان كافراً أو فاسقاً. لأن النشأة وإن كانت لا إرادية من حيث أسبابها، إلا أن المسئولية تكون عن الانبهار والتأثر بالشخصية الكافرة أصلا .

وفي التشبه : قالَ رَسُولُ اللَّهِ : "مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ" [1].

والولاء هو الموقف الفردي المنشيء للأمة بفاعليتها الكونية.

والولاء عندما يكون موقفاً فردياً.. يكون معناه اتخاذ كل فرد موقف الإنشاء، والحفاظ على الأمة، وممارسة الأساليب المحققة لذلك.

إن النصرة تعنى القتال فى سبيل الله و هى أكمل حالات الصدق النفسى و لكن النصرة تعني الانتظار في قول الله عز وجل : مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (الأحزاب : 23).

فالانتظار هو أيضاً حالة نفسية صادقة.

ولعل المساواة في الأجر والمقام بين من قضى نحبه وبين من ينتظر يدل على القيمة الحقيقية للأوضاع النفسية وحسابها عند الله سبحانه.

أما الدليل على أن الولاء مفهوم كوني فهو من مجموع النصوص الواردة في الولاية : فهي العلاقة بين المسلم والكافر، يقول الرسول :" لا تتراءى نارهما" [1] (والبعد مسافة كونية).

---

(1) [صحيح] أخرجه أبو داود في (اللباس / بـ في لبس الشهرة / ح 4031) من حديث ابن عمر ، وصححه الشيخ الألباني في (غاية المرام / 137 / ح 198) .

(1) [صحيح لغيره] أخرجه الترمذي في (السير / بـ ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين / ح 1604) ، وأبو داود في (الجهاد / بـ النهي عن قتل من اعتصم بالسجود / ح 2274) من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ سَرِيَّةً إِلَى خَثْعَمٍ فَاعْتَصَمَ نَاسٌ بِالسُّجُودِ فَأَسْرَعَ فِيهِمْ الْقَتْلَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

والتشبه (توافق في الصورة الكونية).

نقول أن إنشاء المدرسة الإسلامية للتحليل لا يعنى الرفض المطلق لأى حقيقة نفسية صحيحة وصل إليها أصحاب الدراسات النفسية الأخرى إذ أن الحكمة ضالة المؤمن بشرط أن يثبت دليل شرعى على صحة هذه الحقيقة و هذا يعنى أن الدراسة الإسلامية دراسة واثقة بأصولها السلفية.

و بعد التأصيل الشرعى المتفق عليه و بعد الاستطراد في الأقوال السلفية المعمقة للتصور المحكم عن فهم الإنسان من خلال المصطلحات اللغوية والمنتهية إلى مصطلح النفس والذات والشخصية، وبعد إثبات أن الذات: هي محور فهم الإنسان، وأن النفس تتجه نحو الذات ؛ تبدأ مناقشة كل المفاهيم والأفكار والقائمة في مسافة التوجه النفسي للذات لنفاجئ بأخطر حقائق الفهم في الإنسان وأهمها شدة : التحيز النفسي للذات، وقد يتفق اصحاب الدراسات غير الاسلاميه للنفس على هذه الحقيقه ـ حقيقه تحيز النفس للذات ـ . وبمناسبه ذلك ندلل على طبيعة العلاقة بين الدراسة الإسلامية و الدراسات الأخرى فإن الدراسة الإسلامية الحقيقية لا ترفض الحقيقة لكونها صادره عن أخرين فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها ،ولكن بعد تأصيلها التأصيل الشرعى بل و نقبل مصطلحات هذه

فَأَمَرَ لَهُمْ بِنِصْفِ الْعَقْلِ وَقَالَ : [أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِمَ ؟ قَالَ : لَا تَرَايَا نَارَاهُمَا] ، وقال الترمذي : وَأَكْثَرُ أَصْحَابِ إِسْمَعِيلَ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ سَرِيَّةً وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ عَنْ جَرِيرٍ وَرَوَاهُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ الْحَجَّاجِ بْنِ أَرْطَاةَ عَنْ إِسْمَعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسٍ عَنْ جَرِيرٍ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ قَالَ و سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَقُولُ الصَّحِيحُ حَدِيثُ قَيْسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلٌ وَرَوَى سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تُسَاكِنُوا الْمُشْرِكِينَ وَلَا تُجَامِعُوهُمْ فَمَنْ سَاكَنَهُمْ أَوْ جَامَعَهُمْ فَهُوَ مِثْلُهُمْ ، وصححه الشيخ الألباني بشواهده في " الإرواء " (5 / 29 – 33) .

طالما أنها لا تتعارض مع التصور الإسلامى الصحيح للنفس.

و حقيقة التحيز النفسي للذات . معروفه بإسم الحيل النفسية وأهم الأمثلة علي مصطلحات هذه الحقيقة .

1- التبرير.

2ـ الكبت و القمع .

3ـ التسامي .

1- التبرير:

أما التبرير فقد كان من البداية جزءً لا يتجزأ من المعصية.. والذي جعله كذلك هو إبليس عندما وسوس إلى آدم بالأكل من الشجرة المنهي عنها. فقالت الآيات : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ (الأعراف:20).

وسواء كان التبرير طبيعة أصلية قبل وسوسة إبليس..
أو أن إبليس أوجده بالوسوسة..
فإن التبرير أصبح طبيعة مركوزة في النفس وبصورة يعتبر لها اعتبارها في الأحكام الشرعية.

وقد يكون التبرير سابقاً للفعل، وفي هذه الحالة يشكل التبرير دافعاً للفعل مثل أخوة يوسف .حيث قالوا قبل الفعل : ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ ﴾ (يوسف:9).
وقد يأتى التبرير بعد الفعل..

وملخصه
- أن يقع القتل على مؤمن أهله مؤمنون في دار الإسلام.
ويجب في هذه الحالة تحرير رقبة مؤمنة ودية تسلم إلى أهله.
- أن يقع القتل على مؤمن وأهله محاربون للإسلام في دار الحرب.
في هذه الحالة يجب تحرير رقبة مؤمنة ولكن لا يجوز أداء دية لقومه المحاربين يستعينون بها على قتال المسلمين.
- أن يقع القتل على مؤمن قومه معاهدون – عهد هدنة أو عهد ذمة – يرى البعض النص على إطلاقه ويرى حكم تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله المعاهدين.

ويمكن تفسير الأحكام بأن :
- تحرير الرقبة تعويض للمجتمع المسلم عن فقده لإنسان مسلم.
- والدية المسلمة تعويض للأهل عن بعض منافع القتيل لأهله.

أما حكم الذي لا يستطيع القيام بالأحكام السابقة فهو الذي يتطلب التفسير لأنه صيام شهرين متتابعين.
فهذا الصيام لن يبلغ أثره أهل القتيل أو المجتمع ولكن يبلغ أثره القاتل نفسه ذلك أنه سيحميه من ظاهرة التبرير ...

وفي مثال الحكم الشرعي بالصيام بعد القتل الخطأ كان الصيام مانعاً من آثار الفعل على النفس القاتلة تجاه الإحساس بالمقتول خطأً، ولكن
إذا كان اتجاه النفس نحو الذات هو طبيعة تمارسها النفس بكل طاقاتها وأساليبها..

وكانت النفس بطبيعتها أيضاً أمارة بالسوء وصاحبة الهوى فإنها لابد أن تتجاوز بالذات كل حدود الصواب.

2- الكبت أو القمع

والكبت أو القمع هو وجود رغبة في ممارسة سلوك ولكن ظروف الفرد لا تسمح له بهذا السلوك

وهما يتفقان في معني الامتناع عن ممارسه السلوك رغم وجود الدافع و لكنهما يختلفان باختلاف طبيعة الدافع .

و القمع يكون مثل رغبة الإنسان في التبول فإذا كان في طريق عام فإنه يقمع نفسه حتى يصل إلى المكان المناسب للتبول.

وظاهرة القمع تفسر العلاقة بين الدافع والسلوك من حيث تولد الرغبة ووجود المانع من التحقيق، فكلما قوي الرجاء في ممارسة السلوك كان لقوة الرجاء تأثيراً عصبياً يجعله أقل قدرة على قمع نفسه فتزداد رغبة الفرد في التبول كلما اقترب من المكان المناسب لأن الاقتراب يزيد التفكير ويقوى الإشارة العصبية الدافعة إلى التبول .

أما الكبت فهو ظاهرة ثابتة على كل مستويات الدافع ؛ ابتداءً من المثل المذكورفي القمع وانتهاءً بأكبر الدوافع في النفس وهو رغبة الرجل في الزواج من امرأة، حيث يكون في فترة الخطوبة مستقراً لأنه على يقين بأنه لايستطيع أن يقترب منها شرعاً، فإذا ما كان هناك عقد شرعي ازداد قوة في الدافع ورغبة في السلوك حتى

يصبح من الصعب عليه قمع نفسه مع وجود المرأة، وقد أصبحت زوجة له بمقتضى العقد دون البناء.

ولذلك قال رسول الله : "أراد نبي في من كان قبلكم الغزو فقال لا يتبعنا ثلاث: رجل عقد على امرأة ولم يبن بها، ورجل بني بيتاً ولم يكمله، ورجل له عشار ينتظر أن تلد له". لأن هذه الأمثلة من الرجال تكون في حالة استحواذ تام من الدافع على السلوك.

3- التسامي

وهو التعامل النفسي الطبيعي مع الحرمان حيث يتعامل الإنسان مع مشاعر الحرمان بأسلوب يعالج أثرها في نفسه.

ومن الأمثلة الشرعية على هذه الظاهرة هو ما ورد في تفسير قول الله سبحانه وتعالى: "وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله " حيث أورد ابن كثير في تفسير الآية قول عكرمة :

هو الرجل يرى المرأة فكأنه يشتهي، فإن كانت له امرأة فليذهب إليها وليقضي حاجته منها، وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السموات والأرض حتى يغنيه الله.

فتلاحظ أن المواجهة هنا كانت بالتسامي عن الغزيزة والشهوة والتحول بالطاقة الجنسية إلى الرؤية الجمالية الكونية واستيعاب الرغبة في المرأة من خلال الآيات المبثوثة في الكون، وهي لا تقل شأناً أو عظمة عن رغبته الزوجية..

وفي التسامي لا يتوقف الإنسان عند حد التفكير في السماوات والأرض بل يجب أن يتوجه إلى العوامل الأخرى المساعدة على الصبر علي عدم قدرته علي الزواج بمثل الصيام.